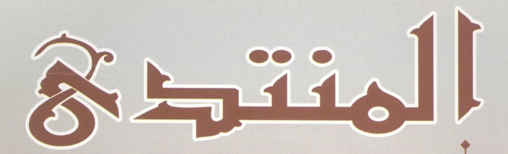




٢٢٠

مجلّة فكريّة ثقافيّة يصدرها مرّة كل شهرين
منتدى الفكر العربيّ

العدد (٢٢٠) المجلّد العشرون (١)
كانون الثّاني/ يناير ٢٠٠٥

في هذا العدد:

الحوار العربيّ الصّينيّ الثّالث

الفكر العربيّ في سياقٍ إقليميّ

العَلمانيّة في العالَم العربيّ





منتــدى الفكــر العــربيّ

منظمة عربيّة فكريّة غير حكوميّة تأسست عام ١٩٨١ في أعقاب مؤتمر القمّة العربيّ الحادي عشر بمبادرة من المفكّرين وصانعي القرار العرب، وفي مقدمتهم سموّ الأمير الحسن بن طلال، رئيس المنتدى؛ تسعى إلى بحث الحالة الراهنة في الوطن العربيّ وتشخيصها، وإلى استشراف مستقبله، وصياغة الحلول العمليّة والخيارات الممكنة، عن طريق توفير منبر حُرّ للحوار المفضي إلى بلورة فكر عربيّ مُعاصر نحو قضايا الوحدة، والتنمية، والأمن القومي، والتحرر، والتقدم. وقد اتخذ المنتدى عمّان مقراً لأمانته العامة.

يهدف منتدى الفكر العربيّ إلى:

١- الإسهام في تكوين الفكر العربيّ المعاصر، وتطويره، ونشره، وترسيخ الوعي والاهتمام به، لا سيما ما يتصل منه بقضايا الوطن العربيّ الأساسية، والمهمات القومية المشتركة، في إطار ربط وثيق بين الأصالة والمعاصرة.
٢- دراسة العَلاقات الاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية في الوطن العربيّ، وتدارسها مع مجموعات الدول الأخرى، لا سيما الدول الإسلامية والدول النامية، بهدف تعزيز الحوار وتنشيط التعاون، بما يخدم المصالح المتبادلة.
٣- الإسهام في تكوين نظرة عربيّة علمية نحو مشكلات التنمية التي تعالجها المنتديات والمؤسسات الدولية، بما يحقق إسهاماً فعالاً في صياغة النظام العالمي، ويضع العَلاقات الدولية على أسس عادلة ومتكافئة، ويخدم التكامل الاقتصادي.
٤- بناء الجسور بين قادة الفكر وصانعي القرار في الوطن العربيّ، بما يخدم التعاون بينهم في رسم السياسات العامة، وتأمين المشاركة الشعبية في تنفيذها.
٥- العناية بالدراسات المستقبلية المتعلقة بشؤون أقطار الوطن العربي وعلاقاتها الدولية.

ويعمل المنتدى على تحقيق أهدافه عن طريق:

١- عقد الحوارات العربيّة العربيّة: وتتناول هذه الحوارات مناقشة أهم الموضوعات التي تهم العالم العربيّ. ويشارك فيها أعضاء المنتدى؛ إضافة إلى نخبة من الخبراء والأكاديميين.
٢- عقد الحوارات العربيّة الدولية: ويتكون فيها الطرف العربيّ من أعضاء المنتدى وخبراء وأكاديميين عرب؛ ويمثل الطرف المقابل إحدى الهيئات أو المعاهد أو المراكز من مختلف الدول والتجمّعات العالمية.
٣- القيام بالبحوث والدراسات الإستراتيجية: وتشمل الدراسات العلمية لفرق بحثية متخصصة حول القضايا الكبرى التي تواجه العرب حاضراً ومستقبلاً.
٤- المطبوعات: إضافة إلى سلسلة المطبوعات الخاصة التي توثق كل نشاط من الأنشطة المذكورة أعلاه (الحوارات العربيّة، والحوارات العالمية، والبحوث الاستراتيجية)، يقوم المنتدى بإصدار مجلة تصدر مرة كل شهرين بعنوان المنتدى باللغة العربيّة، ومجلة فصلية إلكترونية باللغة الإنجليزية تصدر كل ثلاثة أشهر، بهدف تعريف الأفراد والمؤسسات بخلاصة الحوارات والندوات والمؤتمرات التي يعقدها المنتدى؛ إضافة إلى نشر مقالات وترجمات تهُمّ المثقف والمواطن العربيّ.

ويعتمد المنتدى في تمويله على رسوم الأعضاء العاملين والمؤازرين (مؤسّسات)، وتبرعات الأعضاء والأصدقاء ومساهماتهم؛ إضافة إلى ريع وقفيته المتواضعة.

عضوية المنتدى:

١- عضوية عاملة: تضم نخبة من الشخصيات العربيّة المتميزة، التي تؤمن بالمنتدى وبالأهداف التي أنشىء من أجلها.
٢- عُضوية مؤازرة: تضم مجموعة من أبرز المؤسسات والمجالس العربيّة المتفتحة التي تؤمن إداراتها بالعمل وبالفكر العربيّ المشترك.
٣- عُضوية الشرف: يمنحها مجلس الأمناء للأفراد والمفكرين من غير الأعضاء العاملين، الذين قدّموا مآثر ومساهمات جلّى، في مختلف الميادين، على المستويين العربيّ والدولي.



صفحة ٥



المنتدى

مجلة فكريّة ثقافيّة يصدرها مرّة كل شهرين

منتدى الفكر العربيّ

المجلّد العشرون (١)
كانون الثّاني/ يناير ٢٠٠٥

رقم الايداع لدى دائرة المكتبة الوطنية (١٣/ ٢٠٠٣/ د)

المحتويات

العدد (٢٢٠) المجلّد العشرون (١) - كانون الثّاني/ يناير ٢٠٠٥







كلمة أولى

أ.د. همام غصيب
رئيس التّحرير

سنةٌ تُدبر وأُخرى تُقْبِل وسطَ أجواء من الآمالِ المُتجدّدة والأفكارِ المُتدفّقة.

أنهيْنا نشاطَ السّنةِ المُدْبرة بحوارٍ ثالثٍ مَعَ الأصدقاء الصّينيّين، وبمائدةٍ مستديرةٍ مَعَ **الإسكوا** حوْلَ **«الفكْر العربيّ في سياقٍ إقليمي»**. وكعادتِنا، فإنّنا نفردُ لكلٍّ من هذيْن الحدَثيْن البارزيْن ملفّاً/محوراً خاصّاً. الجديدُ في الأمر أنّ مائدَتَنا المستديرةَ تزامنتْ مَعَ اجتماعٍ لمجلس الأمناء. فلمْ تَعُد اجتماعاتُ مجلس الأمناء وقْفاً على شؤونِ الإدارةِ والمال، وإنّما أصبحتْ مناسباتٍ فكريّةً لها وزنُها.

أمّا نشاطُ السّنةِ الجديدة فنستهلّهُ بندوتِنا الفكريّةِ السّنويّةِ في مملكةِ البحرين (٢٧-٢٨/٢/٢٠٠٥) حوْل **«الوسطيّة بيْن التّنظير والتّطبيق»**. وهو موْضوعٌ متعدّدُ الأفنانِ والفروع، كما بيّنت الآراءُ التي وردَتْنا - ومَا زالَتْ تردُنا - من أعضاء المنتدى وأصدقائه.

الأفكارُ مُتدفّقةٌ كما قُلْنا. ولوْلا ضيقُ الوقْتِ وشُحُّ المال، لكانَ الفضاءُ اللّامتناهي هو سَقْفَنا!

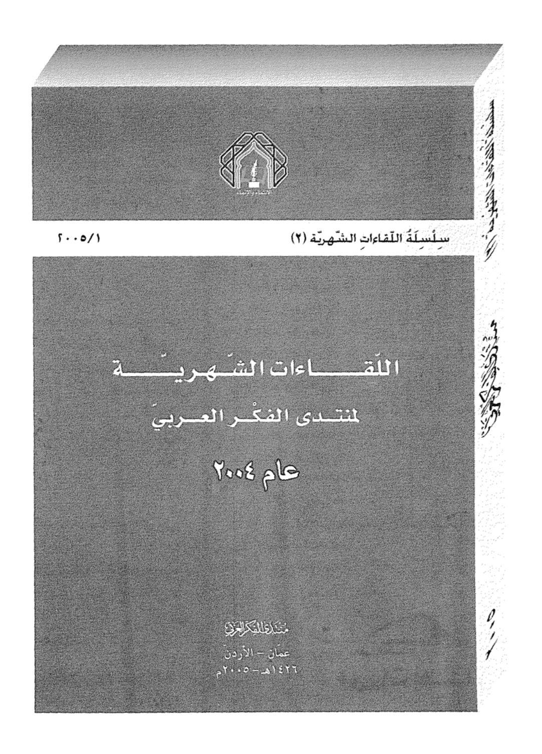
■

جولة العدد

العدد (٢٢٠) المجلّد العشرون (١) - كانون الثّاني/ يناير ٢٠٠٥

يصدر قريباً

سلسلة اللقاءات الشهريّة (٢)



برعاية صاحب السموّ الملكيّ

الأمير الحسن بن طلال

منتدى الفكر العربي / معهد الصين للدراسات الدّوليّة



معهد الصّين للدّراسات الدّوليّة

بيجين



عمّان، ٢٩ - ٣٠ تشرين الثّاني/ نوفمبر ٢٠٠٤



منتدى الفكر العربيّ

عمّان

الجلسة الافتتاحيّة

كلمة صاحب السُّموِّ الملكيِّ الأمير الحسن بن طلال

ألقى الكلمة أ. وسام الزهاوي، أمين عام منتدى الفكر العربيّ

بسْمِ اللهِ الرّحمن الرّحيم

والصّلاةُ والسّلام على نبيّهِ الأمين وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ أجْمعين

الأصدقاءُ الأعزّاء:

السّلام عليكم ورحْمة الله وبركاته:

يَطيبُ لي أنْ أرحّبَ بكم جميعاً في هذا اللقاء، الذي يأتي بعْد مرور سنتيْن ونصف السّنة على لقائنا السّابق في بيجين، وبعد انقضاء ثماني عشرةَ سنة على أولِ حوارٍ فكريّ عربيّ صينيّ استضافَه منتدى الفكْر العربيّ في عمّان. وقد كنتُ أتمنّى أنْ أكونَ معكم شخصيّاً في هذه الجلسة الافتتاحيّة لولا التزاماتٌ خارجَ الوطن حالتْ دون ذلك. لكنني سألتقي بكم في الجلسة الختاميّة لنقفَ سوياً على ما تمَّ تداولُهُ من أفكارٍ ومناقشات خلال هذا اللّقاء. وإذ أكرّرُ ترحيبي بكم في الأردن، فإنّي أرجو لكم أوقاتاً سعيدةً وحواراتٍ مثمرة.

أيُّها الأصدقاء:

لقد ناقشْنا في النّدوة السابقةِ القضايا المرتبطةَ بالعَلاقات العربيّةِ الصينيّة بأبعادِها السياسيّةِ والاقتصاديّةِ والثقافيّة. واليوم نلتقي في عمّان لنتابعَ الحوارَ من حيثُ انتهيْنا، من أجل توطيدِ التّعاونِ العربيّ الصينيّ وإغناءِ مسيرتِه بالأفكارِ

* نشرتْ هذه الكلمة، مع بعض التّعديلات، تحت عنوان «رسالة مفتوحة إلى الأصدقاء الصينيّين»، في جريدة الحياة اللّندنيّة بتاريخ ٢٠٠٤/١٢/١١.



والمقترحات، في إطار التغيّرات السريعة التي تعصفُ بعالمنا. هنالك فرصٌ كثيرةٌ ومجالاتٌ عدّة للتّعاون فيما بيننا. والرّغبةُ في ترسيخ هذا التعاونِ لا مجال للشكّ فيها لدى الطّرفيْن.



إنّ آفاقَ التّعاون بين الصّين والبلدانِ العربيّة شاسعةٌ رحبة. فهلْ عملنا نحو رؤيةٍ شاملة يتمُّ في ضوئها وضعُ الآليّات المناسبةِ لتفعيلِ التّعاون بيننا وبينكم في شتّى المجالات؟

لقد أكّدتُ وأؤكّدُ الدورَ الذي يمكنُ للصّين أنْ تنهضَ به على الصّعيد العالميّ، جنباً إلى جنب مع الاتحاد الأوروبيّ، من أجل إحلالِ السّلام في العالم. كما أكّدتُ وأؤكّدُ أهمّيّةَ منطقة الشّرق الأوْسط (الكبير أو الأكبر أو الأوسع؛ سمّوه ما تشاؤون) بالنّسبة للصّين. وهذا يعودُ إلى الموقع الاستراتيجيّ للمنطقة وما تزخرُ به من ثرواتٍ استراتيجيّة، خصوصًا النّفط.

نحن نعيشُ في عالم تتّسعُ فيه الفجوة بين الجنوبِ والشّمال بسبب النّظام الاقتصاديّ والسياسيّ الدّوْليّ الحاليّ. فنحن بحاجة إلى تفعيل الحوار والتّعاون بين الجنوب والشّمال، وبين الجنوب والجنوب، من أجل عالمٍ أكثرَ عدلاً واستقراراً. وتتطلّبُ مواجهةُ التّحدّيات الرئيسيّة للبلدانِ النّامية تبنّي جدول أعمالٍ مشترَك يعالجُ هذه الأمورَ وما يترتّبُ عليها من تداعيات. مثلُ هذا الجدول قد يتبنّى النقاطَ الآتية:

- الاعتراف بسيادةِ المواطنين.
- السّيطرة على النّموّ السّكانيّ.
- تحقيق نموٍّ اقتصاديّ يقومُ على العدْل والإنْصاف.
- إعادة هيكلةِ مؤسّساتِ الحاكميّة.
- التّنمية الاجتماعيّة.
- تأكيد الثّقافةِ المشترَكة.

وممّا يساعدُ على تدعيم الاستقرار في منطقتنا معالجةُ هذه التّحدّيات وغيْرِها من منظورٍ عبْر إقليميّ وعبْر قطريّ، بل عبْر قاريّ.

إنّ تجربةَ الصّين الرّائدة في مجال التّنمية و«ثقافة الاستدامة» تقدّمُ لنا نموذجاً نتعلّمُ منه ونحاولُ تطبيقه ضمن إطارِ ظروف منطقتنا وخصوصيّتها. لقد اختارت الصّينُ، التي يبلغُ عددُ سكّانها زُهاءَ خُمْسِ عددِ سكّان المعمورة، طريقاً تنمويًّا يناسبُ خصوصيّاتها الوطنيّة، مبنياً على مفهومٍ عميقٍ شاملٍ للتّنمية، يؤمنُ بالتّعاون مع بلدانِ العالم في هذا المجال، وبالتّوفيق بين الإصلاحِ والتّنمية والاستقرار. ونجدُ تأثيرَ التّنميةِ والإصلاحِ في الصّين واضحاً على أفراد الشّعبِ الصّينيّ، من حيث التحسّن في دخل الأفراد وفي الخِدمات التي تقدّمُها الدّولةُ لهم، صحيّةً وتعليميّةً وغيْرَها. واسمحوا لي أنْ أهنّئَكم على ذلك؛ لأنّ هذه سياسةٌ من أجلِ البشر Anthropolitics التي أُنادي بها دوماً.

لقد درجَ الحديثُ عن تعثّر مسيرةِ التّقدّم في الشّرق الأوسط والعالمِ الإسلاميّ. إلا أنّ تقريرَي التّنمية الإنسانيّة العربيّة للعاميْن ٢٠٠٢ و٢٠٠٣ والتّقرير الاقتصاديّ العربيّ الموحّد تتضمّن الكثيرَ من المؤشّرات

الإيجابيّة التي تبشّرُ بمستقبل أفضل لشعوب المنطقة. ويبقى التّحدّي قائماً أنْ نبني على ما تمّ تحقيقُه من تقدّم وإحداث تحوّل في اقتصادات المنطقة. وعسى أنْ تكونَ التّجربةُ الصينيّة في هذا السّياق قدوةً وأمثولةً لنا.

إنّني أؤمنُ بقوّة الأفكار ودورها في تغيير واقع الشّعوب. وهذا يحتاجُ إلى برامجَ عملٍ مدروسةٍ واستراتيجيّات ورؤى نافذة. ولعلَّ «سيناريوهات ماذا لوْ» في هذا السّياق تساعدُنا في تصوّر المستقبل وحتىَ المساهمة في بنائه، بعيدا عن «مفهوم المدى القصير» الذي كبحَ ويكبَحُ تحرّكَنا. هذه دعوةٌ إلى وضْع يدِكم بيدِنا للمشاركة في مثل هذه السّيناريوهات.

لقد دعوْتُ دوماً إلى الحوار مع «الآخر» وتبادلِ الأفكارِ معه، من أجل العملِ سويًّا على وضع آليّاتٍ لمعالجة المشكلاتِ التي تُعاني منها مجتمعاتُنا. وبذلك تتحوّلُ علاقتُنا مع الآخر إلى علاقةِ شراكةٍ من أجل بناء مجتمعٍ أهليٍّ متماسك. وهنا أجدّدُ دعوتي التي أطلقْتُها عام ٢٠٠٠، في خطابي في معهد الشّعب الصينيّ للشؤون الخارجيّة في بيجين، حول «العولمة والثقافة: الصّين والعالم العربيّ»، والتي ناديْتُ فيها بضرورة البحثِ عن صيغة للشّراكة العالميّة تتّسمُ بالاستقلال المتكافل. وهذا يتمثّلُ في استراتيجيّة الصّين التي تقومُ على الاحتواء لا الإقصاء، والتي تجعل من إمكانيّة التّعاون بين الأقاليم في مجال التّنمية، في إطارٍ متعدّدِ الأطراف، أمراً قابلا للتّحقيق.

أعودُ ثانيةً إلى خطابي ذاك. فقد ذكرْتُ فيه بأهمّيّة دعم الصّين لخُطّة التنمية التعاونيّة عبْر الحدود الوطنيّة لدلتا التّومين Tumen Delta التي تضمُّ روسيا وكوريا الشّماليّة والجنوبيّة على السواء؛ إضافة إلى دعمِها للتجمّعات الإقليميّة الفَرْعيّة في جنوب شرق آسيا، مثل بلدان دلتا الميكونغ Mekong Delta. ويقدّمُ هذا تدليلاً عملياً لمفهوم «إدارة الأقاليم» وللتّفكير فوق القطريّ الذي يهدفُ إلى استخدام الموارد بشكلٍ أفضل. خذوا مثلا منظّمة التعاون عبْر المتوسط للطاقة المتجدّدة TREC، التي يتمثّلُ هدفُها في المساعدة على تحويل البحر الأبيض المتوسط من منطقة انقساماتٍ ونزاعاتٍ متعدّدة إلى منطقةٍ منسجمة من حيث التّنمية الاجتماعيّة والاقتصاديّة والتّعاون وحسن الجوار. إنَّ مثلَ هذه المنظّمة تنسجمُ تماماً مع فلسفتِكم ونهجِكم. كما أنَّ رابطةَ المحيط الهادىء للتّعاون الاقتصاديّ APEC هي إطارٌ آخر قامَ بتعزيزه كل من الصّين وشركائها الإقليميّين.

أيُّها الحضورُ الكريم:

إن منطقتَنا بحاجة إلى عمليّة إصلاحٍ على مستوياتٍ عدّة. وأيُّ مبادرةٍ لتحقيق ذلك لا بُدّ أنْ تأخذَ بالحسْبان القضيّتيْن اللتيْن تشغلان شعوبَ المنطقة الآن؛ ألا وهما القضيّةُ الفلسطينيّة والوضعُ الحاليُّ في العراق. إنّ موقفَ الصّين من هاتيْن القضيّتين هو موقف داعم لكلّ ما تطمح إلى تحقيقه الشّعوبُ العربيّة من سلام عادل ودائم في الشّرق الأوسط. كذلك لا يمكن للسّلام في منطقتنا أنْ يصبحَ حقيقةً من دون معالجة موضوع الخطر النّوويّ وأسلحة الدّمار الشّامل. ما نصبو إليه هو أنْ تُصبحَ منطقتنا خاليةً من هذه الأسلحة. وقد يساعد في ذلك، وحتى في تخفيض الأسلحة التقليديّة التي لا تقلُّ عنها تدميرًا، تأسيسُ مَرْكز إقليميّ لتجنّب الأزمات. مثل هذا المركز كفيل بأنْ يعالجَ الأزمات قبل نشوبها.

من أجلِ تحقيق التّنمية، نحن بحاجةٍ إلى مفهوم جديدٍ للأمْن يقومُ على الثّقة والسّلام والتّعاونِ وتعزيزِ الصّداقة على المستوى الإقليميّ. لا بدّ أنْ يركّزَ الإصلاحُ الإقليميّ على قضايا الأمنِ الجماعيّ، والتّجارةِ الحرّة، وإشراكِ الآخرين، كالاتّحاد الأوروبيّ، في هذه العمليّة. نحن بحاجة إلى التّعاون ليس فقط في مجال الأمن العسكريّ أو الصُّلب، وإنّما أيضاً الأمنِ النّاعمِ أو الإنسانيّ.

ولا بدَّ هنا في معرض حديثي عن التّنمية والإصلاح أنْ أشيرَ إلى الدّوْر المهمّ الذي ينهضُ به الشّبابُ في مواجهة هذه التّحدّيات في مجتمعاتنا. فالشّباب يشكّلون زهاء ٧٠٪ من مجتمعنا. وكونهم يشكّلون الأغلبية، فإنّ التّنمية الشّاملة المستدامة التي نتطلّعُ إلى تحقيقها لا بدّ أنْ تركّزَ على الشّباب ودوْرهم في بناء المستقبل وحملِ رسالة «الخطاب العربيّ الإسلاميّ الوسطيّ الرّاشد» الذي ننشُد. لقد أطلقتُ فكرةَ برلمان للشّباب العربيّ في المؤتمر الشّبابيّ الأوّل الذي عقدَه منتدى الفكر العربيّ في عمّان قبل ثمانية أشهر، والذي نتطلّعُ إلى أنْ تتبعَهُ سلسلةٌ من المؤتمرات التي تتناولُ الموضوعاتِ التي تهمُّ شبابَنا.

الأخواتُ والإخوة:

سيُعقدُ المؤتمرُ العالميّ الثّاني للدّراسات الشّرق أوسطيّة في عمّان عام ٢٠٠٦. وقد عُقِدَ المؤتمرُ الأوّل في مدينة ماينز في ألمانيا وجمعَ تحت خيمته جمعيّات الدّراسات الشّرق أوسطيّة من أوروبا والشّرق الأوسط. وستكونُ هذه فرصةً أخرى للمزيد من التّعاون المثمر، ليس فقط بيننا وبين الغرب، وإنما أيضاً بيننا وبين بلدِكم العظيم.

المهمّ، أيّها الأصدقاءُ الأعزّاء، أنْ نستمرَّ في التّواصُل وفي الاجتهاد وفي الابتكار. ماذا لو تحاورْنا مرّة كلّ سنة، بدلاً من سنتيْن أو أكثر؟ ماذا لو وسّعنا من نطاق منبرنا ليشملَ أقطاراً وأقاليمَ أخرى، مثل جنوب آسيا وشرق آسيا؟ باكستان وإيران وتركيا، وغيرها؟ ماذا لو تبادلنا الخبراتِ والمطبوعات والموارد البشريّة بشكل منظّم؟ ماذا لو ركّزنا على برامجَ عمليّةٍ يشتركُ فيها مواطنون من كل القطاعات؟ القائمة طويلة؟ وإنّي لعلى يقين من أنّ الإرادةَ والعقل والقلب والذهنيّة كلّها متوافرة.

أحيّيكم؛ وأسلم عليكم. وإلى اللّقاء في الجلسة الختاميّة. ■

كلمة الأمانة العامة لجامعة الدول العربية

ألقاها

المستشار الأستاذ الدكتور ثامر العاني

مندوب الأمين العام، أ. عمرو موسى

السيدات والسادة

أصحاب السعادة

الأصدقاء الأعزاء

إنه لمن دواعي السعادة والاعتزاز أن أشارك اليوم في حفل افتتاح ندوة الحوار العربي الصيني (الثالث) التي ينظمها كل من منتدى الفكر العربي والمعهد الصيني للدراسات الدولية حول آفاق العلاقات العربية الصينية، وأن أنقل إلى حضراتكم جميعا أطيب تحيات وخالص تمنيات السيد عمرو موسى، الأمين العام لجامعة الدول العربية، بالتوفيق وتحقيق الأهداف المرجوة من عقدها، وإلقاء الضوء على أهم الخطوات التي يمكن القيام بها من أجل تطوير العلاقات العربية الصينية ودعمها وتعزيزها في السنوات المقبلة، استجابة للرغبة المتبادلة التي عبر عنها الجانبان العربي والصيني في مناسبات عديدة مختلفة، على ضوء المتغيرات الدولية والإقليمية التي شهدناها في الفترة الأخيرة. وكان بوده أن يشارك في فعاليات الندوة لولا الارتباطات المسبقة التي حالت دون ذلك.

السيدات والسادة

الأصدقاء الأعزاء

يكتسب الحديث عن التعاون العربي الصيني أهمية خاصة، نظرا لتنامي قوة الصين وتعاظم دورها السياسي والاقتصادي، الأمر الذي يرشحها لأداء دور متميز. كذلك فإن المنطقة العربية تعتبر امتدادا استراتيجيا لمناطق محيطة بالصين، بل إنها كانت تعد من دول الجوار للصين في فترة المد الإسلامي منذ

القرن الثامن الميلادي ، حيث وصلت حدود العالم الإسلامي إلى المنطقة الغربية للصين .

السيدات والسادة

إن جميع المعطيات القائمة والتوقعات المرتقبة تؤكد على أن التعاون العربي الصيني مقبل على مرحلة لافتة من النمو والاتساع ، وأن التعاون هنا لابد أن تترتب عليه إيجابيات كثيرة للطرفين للأسباب الآتية :

١ - إن العالم العربي بحاجة إلى إقامة علاقات وثيقة ومتنامية ومتوازية مع كل القوى الدولية، لاسيما الصين، من خلال استخدام إمكاناته العددية وتوجيه مقوماته الاقتصادية لتوثيق هذه العلاقات وتنميتها والاستفادة منها. فالإمكانات الاقتصادية يجب أن تكون عاملا مهما في كسب صديق بارز في خدمة المصالح القومية المشروعة .

٢ - إن كلا من الطرفين الصيني والعربي مازال حتى الآن في طريق الانفتاح والتحرر الاقتصادي والخصخصة، وهو مجال يصلح لاعتماده طريقا لزيادة العلاقات المشتركة وتبادل الخبرات ، لا سيما أن الصين تملك خبرة واسعة في مجال الإصلاح والانفتاح.

٣ - إن الصين تشكل أكبر الأسواق العالمية، وستبقى بحاجة ماسة إلى الاستيراد والتصدير. وتتفق جميع الآراء على أنها تشكل سوقا رئيسية لاستيراد النفط والغاز، لاسيما من المنطقة العربية، التي ينتظر أن تظل المصدر الرئيسي لإمداد العالم بهاتين السلعتين حتى منتصف هذا القرن. ومن ناحية أخرى، فإن العالم العربي سوف يستكمل إقامة منطقة التجارة الحرة العربية الكبرى في مطلع عام ٢٠٠٥. وهذا دافع مهم للصين لزيادة تعاونها مع الدول العربية نظرا لحجم هذه السوق الكبيرة ، وهو حافز لإقامة تعاون عربي صيني جديد في مجال الاستثمارات والتجارة .

٤ - التواصل الحضاري بين الصين والدول العربية عبر التاريخ من خلال طريق الحرير بشقيه البري والبحري، الذي لم يكن طريقا للتجارة فقط بل كان جسرا للتعارف والتفاهم بين العرب والصين. وشكلت الآثار الحضارية العربية والإسلامية جزءا من حضارة الصين المعاصرة، وعاملا مستمرا للتعارف بين العرب والصين.

السيدات والسادة

إنطلاقا من الاقتناع بأهمية مواصلة تعزيز الحوار بين الدول العربية والصين حول القضايا الدولية لتنسيق المواقف وتوسيع التعاون ، اتفق الطرفان على إنشاء منتدى التعاون العربي الصيني إطاراً للحوار والتعاون الجماعي على أساس المساواة والمنفعة المتبادلة ، لإثراء مقومات العلاقات العربية الصينية، وتوطيد التعاون وتوسيعه على مختلف المستويات وفي جميع المجالات، وإقامة مستوى جديد من علاقات الشراكة يتميز بالتكافؤ والتعاون الشامل . وقد تم التوقيع على وثيقتي الإعلان والبرنامج التنفيذي لمنتدى التعاون العربي الصيني يوم ٢٠٠٤/٩/١٤ بمشاركة السيد عمرو موسى، الأمين العام لجامعة الدول العربية، والسيد لي تشاونشينج، وزير خارجية الصين الشعبية، على هامش أعمال الدورة ١٢٢ للمجلس الوزاري للجامعة العربية .

السيدات والسادة

الأصدقاء الأعزاء

يسعى المنتدى إلى تعزيز العلاقات العربية الصينية في المجالات كافة ، ويعمل - على وجه الخصوص - من أجل تحقيق الأهداف الآتية:

١ - العمل على إرساء الأمن والسلام الدوليين ، والسعي من أجل تحقيق ديمقراطية العلاقات الدولية .

٢ – تنسيق السياسات والمواقف بما يخدم القضايا المشتركة في مختلف المؤسسات والمحافل الدولية .

٣ – تنسيق الجهود لتمكين الطرفين من التعامل بصورة إيجابية وفعالة مع قضايا العولمة ، وتمكينهما من إجراء حوار الحضارات بما يخدم تعميق التفاهم بين شعوب العالم .

٤ – تكثيف الجهود المشتركة من أجل تحقيق التنمية المستدامة لدى الطرفين .

٥ – دعم التعاون الاقتصادي والتجاري والمالي بين الطرفين وتطويره، وتشجيع الاستثمارات المشتركة والمتبادلة وتوفير سبل حمايتها .

٦ – دعم التعاون في مجالات التعليم والثقافة وتنمية الموارد البشرية .

٧ – دعم علاقات التفاهم والحوار بين الطرفين وتطويرها.

٨ – تعزيز التعاون العلمي والتكنولوجي في المجالات كافة ، خاصة في مجال البحوث التطبيقية .

٩ – التنسيق في مجال حماية البيئة والمحافظة على التراث.

١٠ – التنسيق المتبادل حول القضايا الأخرى التي تهم الطرفين .

السيدات والسادة

الأصدقاء الأعزاء

في الختام، أتمنى لندوتكم كل النجاح لتحقيق الأهداف التي انعقدت من أجلها ، وأشكركم وأتمنى لكم جميعاً مزيداً من التوفيق. ولنكن دائماً شركاء في السلام والتنمية، وعاشت الصداقة العربية الصينية إلى الأبد .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. ■

كلمة رئيسيّة

«استراتيجيّة الصّين للتّنمية وسياساتها الخارجيّة»

الخُلاصة

السفير ما تشنقانغ

رئيس معهد الصّين للدّراسات الدّوليّة

تتألف هذه الورقة من جزأين:

١ – استراتيجية الصين للتنمية

٢ – السياسة الخارجية للصين

١ – ١ – الخطوط العريضة لاستراتيجية الصين للتنمية، وخصائص الطريق التنموي في الصين

أ – تكريس مبدأ «الإنسان أولا». تعطى الأولوية لصالح الشعب، ويكون هدف التنمية رفع مستوى المعيشة للمواطنين.

ب – الالتزام بمفهوم «التنمية المستدامة»، والتأكيد على ضرورة التنمية الصحية في ضوء توفير البيئة السليمة والمعيشة الميسرة.

ج – التمسك بسياسة الانفتاح على الخارج بما يساهم في التنمية المشتركة، إذ تنظر الصين إلى التنمية فيها على أنها جزء من التنمية العالمية.

١ –٢ تنمية الصين والعالم:

نجحت الصين، التي يفوق تعداد سكانها المليار نسمة، في حل مشكلة الغذاء والكساء لمواطنيها وتأمين الاستقرار الاجتماعي على المدى الطويل. وساهم ذلك في مكافحة الفقر والحفاظ على الاستقرار محلياً وإقليمياً وعالمياً. وكانت تجربتها التنموية الناجحة نموذجا يحتذى به. وبالرغم من اعتماد الصين في هذه التجربة على نفسها

بشكل أساسي، إلا أنها حرصت على التفاعل والتواصل من أجل التنمية الاقتصادية العالمية. ويؤكد السفير ما تشنقانغ أن هنالك «(إجماعا) على أن خروج الاقتصاد العالمي من الركود إلى الانتعاش في السنوات الأخيرة يرجع فضله إلى التنمية المستدامة في الصين». إضافة إلى ذلك، تحرص الصين كونها دولة نامية كبرى على المشاركة في وضع القواعد الاقتصادية الدولية، وعلى المحافظة على مصالح الدول النامية، وتدعو إلى تحقيق التنمية المشتركة في العالم. كذلك تطرح مبادرات لتفعيل التعاون الدولي بما يساهم في بناء نظام اقتصادي دولي على نحو منصف وعادل. كما تحرص على تفعيل التعاون الإقليمي عامة، والتعاون على المستوى الآسيوي خاصة، بما يساهم في تحقيق التنمية المشتركة في آسيا. وتعمل على تقديم المساعدات الممكنة المختلفة للدول الأقل نموا.

إن التنمية في الصين ذات أبعاد إيجابية لتنمية العالم، وهي تمثل جانبا حيويا في قضية تقدم البشرية. وهذا أمر يصب في مصلحة الشعب الصيني وشعوب العالم.

(٢) السياسة الخارجية للصين:

تم التركيز على المقومات الأساسية للدبلوماسية الصينية. وتتمثل هذه في حرص الصين، بصفتها دولة نامية كبرى وعضواً دائماً في مجلس الأمن الدولي، على تطوير علاقات الصداقة والتعاون مع دول العالم كافة على أساس المبادئ الخمسة للتعايش السلمي، وتنهض بدور بنّاء في الشؤون الدولية، وتدعو إلى تحقيق التنمية المشتركة من خلال تفعيل التعاون الدولي، كما تساهم في سلام العالم وتقدم البشرية.

تدعو الصين إلى «بناء نظام سياسي واقتصادي دولي جديد على نحو منصف ومنطقي». وعلى الصعيد السياسي، تدعو إلى الاحترام المتبادل، والتشاور الجماعي، وعدم التدخل في الشؤون الداخلية، والمساواة بين جميع الدول، وحق أي دولة في المشاركة في الشؤون الدولية. كما تدعو إلى وجوب «تكريس الديمقراطية والشرعية الدولية في العلاقات الدولية، واحترام دور الأمم المتحدة وتعزيزه».

أما على الصعيد الاقتصادي، فتدعو الصين إلى تعزيز التعاون والتكامل بما يساهم في التنمية والازدهار المشتركين. وتؤكد وجوب احترام كل دولة لمصالح الدول الأخرى في عملية تحقيق المصالح الاقتصادية الذاتية. كما تؤكد مسؤولية الدول المتطورة تجاه الدول النامية والأقل نموا في تقديم المساعدة لها بما يعمل على تحقيق التنمية وتضييق الفجوة بين الجنوب والشمال.

وعلى الصعيد الثقافي، تدعو الصين إلى تبادل الاحترام والاستفادة بين الثقافات المختلفة بما يحقق ازدهارها المشترك.

أما على الصعيد الأمني، فيجب تثبيت «مفهوم جديد للأمن» يقوم على الثقة المتبادلة والمنافع المشتركة والمساواة والتعاون، كما يجب حل النزاعات عبر الحوار والتعاون بدلا من اللجوء إلى القوة. ويدعو هذا المفهوم الجديد للأمن إلى «تجاوز مفهوم الأمن لجانب واحد، وبناء أمن مشترك على أساس المصالح المشتركة من خلال المنافع المتبادلة».

التطبيقات الدبلوماسية الصينية

تعمل الصين على تدعيم التعاون المشترك مع دول الجوار، وتطوير الصداقة والشراكة معها، وتحسين العلاقات وتطويرها مع الدول الكبرى والدول النامية، والمشاركة الدبلوماسية في إطار الأمم المتحدة، وتعزيز التعاون الدولي لمكافحة الإرهاب. كذلك تعمل على الحفاظ على وحدة أراضيها وسلامتها، وعلى «سحق المحاولات الانفصالية من الدالاي لاما وأتباعه»، وتعارض بشكل قاطع محاولات سلطات تايوان الانفصالية.

وتحرص الصين على تنمية علاقاتها مع الدول العربية والمساهمة في الجهود لإيجاد حل عادل وشامل لقضية الشرق الأوسط بما يؤدي إلى تدعيم الاستقرار في المنطقة. كما يعمل الجانبان الصيني والعربي على تدعيم السلام والاستقرار على المستويين الإقليمي والعالمي، ودعم المصالح المشتركة بين الجانبين، لا سيما في إطار التنمية الاقتصادية، وتحقيق التكامل الاقتصادي بينهما، والتعاون والتواصل في شتى المجالات.

وأخيراً، هنالك إشارة إلى زيارة الرئيس الصيني هو جينتاو إلى مقر جامعة الدول العربية في مطلع العام الحالي، حيث تم الإعلان عن تدشين منتدى التعاون العربي الصيني. وانعقد الاجتماع الوزاري الأول للمنتدى في القاهرة خلال أيلول/سبتمبر الماضي، حيث تم التوقيع على وثائق مهمّة بين الجانبين في إطار المنتدى.

الجلسة الأولى : العلاقات الاقتصادية

الورقة العربيّة الأولى

العَلاقات الاقتصاديّة والتّجارية العربيّة الصّينيّة وآفــاقهــا «التحديات في مجال الطّاقة والنّفط العربيّ»

الدكتور هشام الخطيب

عضو مجلس الأمناء ورئيس لجنة الإدارة في منتدى الفكر العربيّ

الخُـلاصـة

يعد التحدي النفطي، في رأي الباحث، أهم تحدٍ يواجه الصين في المستقبل. فالصين ستعتمد في المستقبل على الخارج بحوالي ثلاثة أرباع مستورداتها من النفط



الخام. وترافق هذا الاعتماد تحديات أمنية وأعباء مالية على ميزان المدفوعات الصيني، إضافة إلى ما ينجم عن ذلك من عَلاقات وتوترات سياسية خارجية.

وتعد الصين حاليا المستهلك الثاني للنفط في العالم بعد الولايات المتحدة. ويزوّد الشرق الأوسط الصين بأكثر من نصف مستورداتها من النفط. وسيكون استيراد النفط وتأمين مصادره عنصرا أساسياً في تحديد سياسة الصين الخارجية المستقبلية، خاصة في الشرق الأوسط.

وتحلل الورقة العَلاقات النفطية الصينية الأمريكية والعلاقات النفطية الصينية الروسية، لما لهما من تأثير على العلاقات النفطية الصينية العربية.

وفي ضوء دراسته للعلاقات النفطية الصينية العربية، يشير الباحث إلى التزايد المستمر في اعتماد الصين على النفط العربي. وفي مقابل ذلك، فإن الاستثمار العربي في مجال الطاقة في الصين آخذ في النمو، ويتوقع أن يتعاظم هذا النمو في المستقبل.

ويستعرض الباحث أسباب الارتفاع الأخير في أسعار النفط، وإمكانية تكراره أو استمراره، وتأثيراته على الاقتصاد الصيني. ويحلل التبعات الاقتصادية للعبء النفطي على الصين. ويبين أن الصين قد عملت على تنويع مصادر النفط الخام المستورد من مختلف المصادر في العالم. إلا أنه على المدى البعيد، فإن الشرق الأوسط، خاصة الخليج العربي، وكذلك إيران، سيشكلان المصدر

الرئيسي لتزويد الصين بالنفط. لذلك فإن الصين ستكون حريصة جدا على المساعدة في أمن المصادر النفطية. وإن توسع الصين في استثماراتها النفطية في جميع الدول العربية في السنوات الأربع الأخيرة كان نتيجة لإدراكها لحاجاتها المستقبلية من النفط. فالازدياد في طلب الصين على الطاقة، خاصة النفط الخام، يعود بشكل أساسي إلى النمو السريع جدا للاقتصاد الصيني.

الورقة الصينية الأولى

«علاقات الصين الاقتصادية والتجارية مع دول الشرق الأوسط»

الدكتور يانغ قوانغ

المدير العام – معهد دراسات غربي آسيا وأفريقيا/ أكاديميّة الصّين للعلوم الاجتماعيّة

الخُـلاصـــة

أولاً: مكانة الشرق الأوسط في خريطة التبادل الاقتصادي والتجاري الصينية

يرى الباحث أنه في الوقت الذي تتنامى فيه التجارة الصينية الخارجية وتزداد الاستثمارات الأجنبية في الصين، تتطور علاقات التجارة بين الصين والشرق الأوسط بشكل متسارع. فقد أصبح الشرق الأوسط من الأسواق الرئيسية التي تستورد المنتجات الصينية، في حين أصبح أحد من المصادر الرئيسية للنفط والقطن بالنسبة للصين.

ثانياً: توسيع إمكانات تطوير التبادل الاقتصادي والتجاري بين الصين والشرق الأوسط

يرى الباحث أن أمام الصين وبلدان الشرق الأوسط فرصاً سانحة لتحقيق النمو الاقتصادي في المرحلة الراهنة، لا سيما في ضوء العولمة الاقتصادية وتحديث التكنولوجيا. كما إن إمكانات التكامل الاقتصادي بين الجانبين تتنامى باستمرار، منذ أواسط التسعينيّات من القرن الماضي، وكذلك تتزايد إمكانات توسيع الاستثمارات المتبادلة بين الجانبين. فالصين تعمل على مواصلة جذب الاستثمارات الأجنبية، في الوقت الذي تشجع فيه المؤسسات الوطنية على الاستثمار في الخارج ضمن إطار استراتيجية تنموية للدولة. ويضيف الباحث أن التكتل الاقتصادي سيوسع حجم الأسواق. فمنذ التسعينيّات من القرن الماضي، قطع كل من الشرق الأوسط والمنطقة المجاورة للصين أشواطا بعيدة في تطور التكتلات الاقتصادية، حيث أصبح باستطاعة المستثمرين ورجال الأعمال في الصين والشرق الأوسط الحصول على فرص عمل هائلة، واقتحام أسواق العمل في أوروبا وأمريكا الشمالية وشرق آسيا وجنوب شرق آسيا، باعتبارها الحلقات الاقتصادية الكبرى في العالم.

ثالثاً: ترجمة الإمكانات إلى واقع

لكي تتم عملية زيادة الاستثمارات وتوسيع التجارة، لا بد من تشجيع القطاع الخاص على المساهمة بدوره في تنمية العلاقات الاقتصادية والتجارية. إضافة إلى ذلك، ينبغي تطوير اتجاه التجارة الحرة بين الصين و(آسيان) من جهة، ودول الشرق الأوسط وأوروبا وأمريكا الشمالية من جهة أخرى، وتوسيع التعاون الاستثماري من خلال ضمان الأمن النفطي. وإن كون الصين دولة مستوردة للنفط يجعلها تولي اهتماما بالغا لتأمين استيراده من الخارج. وهذا يتطلب جذب الاستثمارات في قطاع النفط، إذ إن الاستثمارات

المشتركة بين الصين والدول المصدرة للنفط تتفق والمصالح الاستراتيجية للطرفين، وتعود على كل منهما بالنفع.

ويرى الباحث أن العَلاقات الاقتصادية والتجارية بين الصين ودول الشرق الأوسط ترتبط بالمصالح الاستراتيجية للطرفين. لذلك، فنحن في أمس الحاجة إلى إقامة آليات للحوار الاستراتيجي بين الصين ودول الشرق الأوسط.

مناقشات الجلسة الأولى

الخُلاصة

الشريف فواز شرف

إن المبادىء التي ترتكز عليها الدبلوماسية الصينية الخارجية تشاركها فيها البلدان النامية وغيرها، إلا أن الصين خرجت عن هذه المبادىء العامة في موضوعين هما تايوان والدالاي لاما، وهذا حق نؤيده.

أما الملفت للنظر، فإن الورقة الصينية لا تذكر القضيتين اللتين تشكلان محورا أساسيا في السياسات العربية، وهما العراق وفلسطين.

السفير ليو باو لاي

١ - يتفق مع السفير ما تشنقانغ في أن الصين ما زالت دولة نامية، على الرغم من التطورات الكبيرة منذ ٢٠ سنة وازدياد الإنتاج المحلي.

٢ - في مجال التعاون الاقتصادي، هناك أسواق اقتصادية وتجارية متبادلة كبيرة بين الصين والدول العربية. وقد وصل حجم تجارة الصين في السنة الماضية إلى ٨٥١,٤ بليون دولار أمريكي، وسيصل هذه السنة إلى ١٠٠٠ بليون دولار أمريكي (١ تريليون)، استيراداً وتصديراً.

٣ - بالنسبة للدول العربية، بلغت الصادرات والواردات السنوية زهاء ٤٠٠ أو ٥٠٠ مليار دولار أمريكي.

٤ - حجم التجارة بين الصين والدول العربية يُناهز ٢٥ مليار دولار أمريكي. وهناك سوق استثمارات متبادلة تشمل التكنولوجيا التي تتطور في الصين بصورة سريعة، خصوصاً في مجال الحاسوب والاتصالات والثقافة والطاقة.

أ. حمدي الطباع

انطلاقا من أهداف منتدى التعاون الذي أنشىء عام ٢٠٠٠، وضمن التعاون غير الحكومي، وتحقيقا لأهداف المنتدى، نطرح بصفتنا رجال أعمال عرب فكرة مجلس رجال أعمال عرب وصينيين تكون مهمته الاجتماع سنويا في ندوات لتعزيز التعاون والاستثمار بين الجانبين.

سؤال للأستاذ الدكتور يانغ: الصين تستورد ٤٠٪ من حاجتها من النفط. ونرى صناعات صينية تُصدّر للعالم العربي. وهنالك تهديد من سعر صرف الدولار الضعيف. فكيف تستطيع الصين التصدير بأسعار منافسة، وهي غير مسيطرة على أسعار النفط؟

د. عصام الجلبي

١ - السياسة الصينية في مجال الطاقة حكيمة، إذ إنها نوّعت مصادر استثمارها في كل البلدان العربية النفطية تقريبا ما عدا قطر.

٢ - الطاقة هي أحد مجالات التعاون وليست المجال الوحيد.

د. همام غصيب

١ - أقترح تكثيف هذه الحوارات بحيث تصبح مرة كل

سنة، كما ورد في كلمة صاحب السمو الملكي الأمير الحسن بن طلال.

٢ – النقطة التي أثارها د. عتيقة حول «ثقافة الصيانة»، صيانة المُعَدّات والأجهزة المتقدمة جداً في الصين. هنالك نقص كبير في هذا المجال في العالم العربي. فهذا مجال تعاون كبير بيننا وبين الصين.

٣ – أؤيد ما قاله د. هشام الخطيب من حيث إن النفط هو عماد العلاقات الاقتصادية العربية الصينية. لكن أرجو أن لا تبقى هذه العلاقات مقتصرةً على النفط. ماذا عن صناعة النسيج، مثلاً؟ هناك في العدد الأخير، أو قبل الأخير، من مجلة **الإيكونومست** مقالةٌ تذكر أن الصين هي الدولة العظمى في هذا المجال. هل لنا ببعض المعلومات عن هذا الموضوع؟

د. يوسف الحسن

١ – مصطلح الشرق الأوسط جغرافيًا مقبول، لكنه غير دقيق. وما دام الحوار هو حوار عربيّ صينيّ، أتمنى على الزملاء في الجانب الصيني الدقة في استعمال مصطلح الوطن العربي المؤلف من ٢٢ دولة.

٢ – استثمرت دولة الإمارات هذا العام نصف بليون دولار في الصين. وستفتتح في الأسبوع القادم سوق التنين في الإمارات، حيث تسجل فيها ٣٠٠٠ شركة صينية. تعمل الآن ٤٠٠ شركة صينية في الإمارات.

٣ – هنالك استفسارات وتساؤلات برزت من خلال سياسات الانفتاح والإصلاح في الصين: طبقة ثرية تزداد نسبتها يوما بعد يوم، كيف ستعالج الصين هذا الموضوع؟ وهل ستستفيد من الخبرة الرأسمالية في الضرائب التصاعدية؟ هل شهدت الصين في ظل سياسات الانفتاح مظاهر سلبية اجتماعية، كانتشار الرشوة والجريمة والفساد والخطف والدعارة؟ كيف توفق الصين بين الإنترنت والحرية السياسية والاجتماعية، وبين استمرارية الدولة المتحكمة سياسيا، وتأثيرها وممارستها؟ كيف ستعالج الصين المسائل المرتبطة بحقوق الإنسان وحقوق الأقليات الثقافية والمظاهر المصاحبة عادة لسياسات الانفتاح؟

د. مصطفى بوطورة

أقترح أن تستخلص من الأوراق توصيات محددة لخدمة العلاقات العربية والصينية وتطويرها.

د. وليد الترك

أقترح أن تخصص جلساتٌ خاصة في الحوارات القادمة لمناقشة الآليات والسبُل الكفيلة بتعزيز التعاون بين الجانبين الصيني والعربي. ■

الجلسة الثانية: العلاقات السّياسيّة

الورقة العربية الثانية

«المتغيّرات الجيواستراتيجيّة والسّياسيّة الإقليمية والدولية»

م. فخري أبو شقرة

المدير التنفيذي – جمعية الشؤون الدولية

الخُلاصة

إن العالم الذي نعيشه اليوم يسوده نظام عالمي جديد يقوده قطب أوحد هو الولايات المتحدة الأمريكية. إلا أن المؤشرات تدل على وجود منافِسِين لها، بعضهم في طور التكوين، مثل الاتحاد الأوروبي ومنظومة دول الشرق الأقصى أو جنوب شرق آسيا، التي تحاول التكتل في محاور أو ائتلافات تضعها في سباق المنافسة والتوازن الدوليين. وقد قادت الصين دول آسيا في معدلات النمو الاقتصادي والتنمية.

أما دول الشرق الأوسط، فعلى الرغم من توافر مقومات الاتحاد لديها، إلا أنها عجزت حتى الآن عن خلق اتحاد اقتصادي. ومن الأسباب التي أعاقت هذه الوحدة، في رأي الباحث، الصراع العربي الإسرائيلي الذي استنفد موارد هذه الأمة وطاقاتها الاقتصادية والبشرية، وشلّ قدرتها على الحركة السياسية الفعالة على المسرح الدولي. ومما زاد في حالة التوتر وعدم الاستقرار التي تعيشها بلدان المنطقة الاحتلال الأمريكي للعراق.

ثم استعرض الباحث الوضع الحالي في دول جنوب آسيا، مثل الهند والباكستان.

ما الذي يريده الغرب من الشرق الأوسط؟ يرى الباحث ضرورة تحديد الأهداف التي تسعى الولايات المتحدة إلى تحقيقها. ويرى أن محاور السياسة الأمريكية ترتكز على محورين: الحفاظ على هيمنة إسرائيل على منطقة الشرق الأوسط، والسيطرة على منابع النفط. وعلى دول العالم العربي في مواجهة ذلك «أن تبادر فورا بإنشاء وحدة اقتصادية تمهيدا لاتحاد كامل، أسوة بما فعلته الدول الأوروبية». وإذا أقيمت المنظومة الاقتصادية العربية واستطاعت السيطرة على مقدرات نفطها، فستصبح قوة فاعلة تستطيع تقديم الكثير لخير شعوبها ورفاهيتهم، وكذلك لشعوب العالم الأخرى.

ثم ينتقل الباحث إلى موضوع مستقبل العَلاقات العربية الصينية التي تتسم، في رأيه، بالحيوية والمتانة والنمو المستمر، مؤكدا الحاجة إلى توطيد هذه العلاقات بما ينفع الجانبين ويؤمن المصلحة العليا للشعبين الصديقين. وفي هذا السياق يشير الباحث إلى تأسيس منتدى التعاون العربي الصيني في بداية هذا العام. ويبين أنه سيتم في المستقبل القريب توقيع اتفاقية تعاون مع دول مجلس التعاون الخليجي لتقوية أواصر التبادل التجاري معها.

وأخيرا، يشير الباحث إلى نقاط التوتر التي قد تصبح بؤرا ساخنة تهدد الاستقرار مثل: موضوع جزيرة تايوان، والنزاع حول الحقوق الدولية في مياه بحر جنوب الصين، والنزاعات المحلية الأخرى بين الكوريتين على سبيل المثال، أو بين الهند والباكستان.

الورقة الصّينيّة الثّانية

«القراءة الصّحيحة للأوضاع وتعزيز التّعاون وتحقيق التّنمية المشتركة»

السفير آن هويخو

باحث زائر / معهد الصّين للدّراسات الدّوليّة

الخُـلاصـة

أولاً: سياسات الدولة العظمى (الولايات المتحدة الأمريكية) وما تسببت فيه من توتر واضطراب في منطقة الشرق الأوسط. فقد طرحت الولايات المتحدة خطة الإصلاح الديمقراطي للشرق الأوسط «الكبير» في شباط/فبراير عام ٢٠٠٤، استنادا إلى سياساتها الخاصة بإعادة تكوين الشرق الأوسط التي تهدف إلى إصلاح دول المِنطقة بالمفاهيم الأمريكية للديمقراطية والحرية وفرض معايير أمريكية أخرى عليها. وفي الوقت ذاته، يؤكد الشارع العربي ضرورة ضمان استقلالية الدول العربية في توجيه الإصلاح وفق خصوصيتها الوطنية، لا وفق نمط مفروض من الخارج.

ثانياً: مساعي الصين للتنمية السلمية

ترفع الصين راية السلام والتنمية والتعاون من أجل عالم يسوده السلام والعدالة. لذلك تلتزم الصين بجعل الأولوية للمصالح الأساسية للشعب الصيني

والمصالح المشتركة لشعوب العالم. كما تقف دائما إلى جانب الحق والعدالة، وتعارض النزوع إلى الهيمنة وتكافح الإرهاب، وتشارك بجدية في الأنشطة الدبلوماسية المتعددة الأطراف، وتنهض بدور نشيط في الأمم المتحدة. كما تسعى إلى تدعيم التعددية القطبية في العالم، وديمقراطية العلاقات الدولية، و دفع عجلة العولمة الاقتصادية بما يحقق المصلحة المشتركة للجميع.

ثالثاً: التعاون المشترك بين الصين والعالم العربي في المرحلة الجديدة

يشير الباحث في هذا الإطار إلى زيارة الرئيس الصيني هو جينتاو إلى مصر في مطلع هذا العام، حيث تم على هامشها تدشين منتدى التعاون العربي الصيني. وحرص الرئيس الصيني على طرح مبدأ لتوجيه العلاقات الصينية العربية من أربع نقاط هي: تقوية العلاقات السياسية على أساس الاحترام المتبادل؛ وتكثيف التبادل الاقتصادي والتجاري لتحقيق التنمية المشتركة؛ وتوسيع التواصل الثقافي وتعميقه؛ وتعزيز التعاون في الشؤون الدولية بهدف تحقيق السلام العالمي ودفع جهود التنمية المشتركة. وفي ضوء هذه النقاط يرى الباحث اتفاق الصين والدول العربية في حرصهما على السلام العالمي، والاستقرار الإقليمي، ومعارضة النزوع إلى الهيمنة، وتدعيم التعددية القطبية، وديمقراطية العلاقات الدولية، ومكافحة الإرهاب. كما تؤيد الصين جهود الدول العربية في سبيل إخلاء منطقة الشرق الأوسط من الأسلحة النووية. وترى أن من الضروري ضمان استعادة الحقوق العربية المشروعة، وفي مقدمتها حقوق الشعب الفلسطيني في إقامة دولته المستقلة. كما ترى الصين وجوب الصيانة الكاملة لاستقلال العراق وسيادته ووحدة أراضيه والوصول إلى إدارة الشؤون العراقية بأيدي العراقيين أنفسهم. كما يؤيد الباحث وجوب إيجاد حل عاجل وسلمي لقضية دارفور السودانية.

كذلك تتفق الصين والبلدان العربية حول ضرورة اختيار طريق تنموي ونظام سياسي خاص بها بإرادتها المستقلة دون تدخل أجنبي. وإن الصين تشكر الدول العربية على التزامها بمبدأ الصين الواحدة. وإن قضية التنمية وقضية السلام هما على رأس سُلّم الأولويات بالنسبة للطرفين. وإن اتساع الفجوة بين الجنوب والشمال يشير إلى وجود خلل وعيوب في النظام السياسي والاقتصادي الدولي القائم. وينادي الباحث بتعزيز الحوار بين الثقافات.

مناقشات الجلسة الثانية

الخُـلاصـــة

السفير ليو باو لاي

١ - العلاقات التاريخية بين الصين والعرب، خاصة الثقافية منها، واهتمام الصين بتعزيز العلاقات بين البلدين.

٢ - الأسس التاريخية المتينة لتنمية العلاقات العربية الصينية، مثل تعدد الثقافات والتعايش بينها والديمقراطية والحرية وحقوق الإنسان ومكافحة الإرهاب. قال كونفوشيوس: «إن المخلوقات تتعايش ولا تتضار والطرق تتوازى ولا تتشابك». الدعوة إلى حل سلمي للنزاع العالمي والإقليمي وفقا للشرائع الدولية.

٣ - تأييد حل سلمي لقضية الشرق الأوسط، والخريطة السلمية للشرق الأوسط، ومعارضة إسرائيل في احتلالها للأراضي العربية، مطالبة إياها بالانسحاب من جميع الأراضي العربية المحتلة.



٤ – إمكانات التعاون الاقتصادي والتجاري في المستقبل بين الصين والبلدان العربية.

٥ – لا تضارب في المصالح بين الصين والبلدان العربية ولا مشاكل موروثة بين الجانبين، بل هنالك صداقة وتعاون.

٦ – العمل في إطار منتدى التعاون بين الصين والدول العربية اعتمادا على المبادىء الأربعة التي طرحها الرئيس الصيني لتنمية العلاقات الصينية العربية في المرحلة الجديدة، وهي تقوية العلاقات السياسية على أساس الاحترام المتبادل، وتكثيف التبادل التجاري والاقتصادي بغرض تحقيق التنمية المشتركة، وتوسيع التبادل الثقافي بما يحقق الاستفادة المتبادلة، وتعزيز التعاون في الشؤون الدولية من أجل حماية السلام العالمي ودفع التنمية المشتركة.

د. يوسف الحسن

١ – التعرف على الرؤية الاستراتيجية للصين في إدارة العالم في المرحلة القادمة. فالصين تقول إنها ستنتصر في معركة القطب الواحد أو التعددية القطبية. ما هي الآليّات والتصورات في هذا المجال؟

٢ – كيف يمكن أن ترى الصين دورها في مجلس الأمن؟ لم تستعمل الصين حق الفيتو إلا خمس مرات، كانت إحداها في موضوع الشرق الأوسط. الموقف الأخير للصين في مجلس الأمن تجاه المسألة النووية في إيران؛ حيث أصرت على عدم إحالة ملف إيران النووي إلى مجلس الأمن.

أ. تشاو وي مينغ

١ – مشكلة الطاقة في الصين: كيفية الحصول عليها بتكلفة معقولة، وكيفية نقلها بسلام إلى الصين.

٢ – السعي إلى تنويع موارد النفط وتخفيض استهلاك الطاقة.

٣ – السعي إلى إحلال الطاقة البديلة، أي الفحم. فالصين اتخذت خطوات بشأن تسييل الفحم كمصدر بديل للطاقة في حالة ازدياد ارتفاع أسعار النفط.

٤ – التأكيد على عدم سعي الصين إلى الهيمنة.

د. همام غصيب

١ – ماذا عن اهتمام الصين بالطاقة النووية؟ هل لديكم مفاعل أو مفاعلات نووية؟

٢ – ماذا عن سياستكم فيما يتعلق بالأسلحة النووية خصوصا، وأسلحة الدمار الشامل عموما؟

أ. وسام الزهاوي

١ – كيف يمكن أن ترى الصين إمكانية حل مشكلة الشرق الأوسط بالمفاوضات في ضوء سياسات الولايات المتحدة الداعمة لإسرائيل؟

٢ – كيف يمكن تعزيز دور الأمم المتحدة وقراراتها تخرق بصورة متكررة بواسطة إسرائيل؟

د. هشام الخطيب

١ – إشارة إلى سؤال د. همام غصيب حول النشاط النووي في الصين، هنالك تراجع نووي في كل أرجاء العالم مبني على أسباب سيكولوجية أكثر منه على أسباب بيئية، باستثناء الصين وكوريا الجنوبية، وربما بعض الدول الأخرى في جنوب آسيا كالهند.

٢ – نسبة الطاقة النووية في الصين ١,٨٪ من إنتاج الطاقة الصيني، وهي نسبة متدنية لأنها تبلغ نحو ٦٪ في العالم. وربما ترتفع في الصين في سنة ٢٠٢٠ إلى ٤٪.

٣ – الطاقة النووية آمنة ونظيفة، ولا تشكل خطرا على البيئة أو الإنسان.

أ. يانغ قوانغ

كيف يمكن للدول العربية أن تحقق التكامل الاقتصادي مع الصين؟

أ. تشن قانغ

١ – الدعوة إلى استعمال الطاقة النووية في الأغراض السلمية.

٢ – الدعوة إلى جعل المنطقة الكورية خالية من الأسلحة النووية.

السفير آن هويخو

١ – لا بد من حل القضية الفلسطينية بشكل سلمي.

٢ – مواقف الولايات المتحدة غير العادلة تجاه الصراع وانحيازها لإسرائيل يعيق ذلك.

٣ – على الشعب الفلسطيني أن يتحد وينبذ الخلافات.

٤ – حل الصراع العربي الإسرائيلي سيؤدي إلى التقليل من ظاهرة الإرهاب.

أ. فخري أبو شقرة

١ – ردا على ملاحظات السفير آن هويخو، الفلسطينيون متفقون على الهدف ومختلفون على الطريقة لتحقيقه.

٢ – سبب الإرهاب هو الهيمنة الأمريكية على مقدرات الشعوب في الشرق الأوسط، وعدم الاعتراف بحقوق الفلسطينيين في دولتهم.

٣ – موقف أمريكا من امتلاك إيران للأسلحة النووية غير مبرر.

خلاصة الأوراق

١ – الخطوط العريضة لاستراتيجية الصين للتنمية، وخصائص الطريق التنموي في الصين: تكريس مبدأ «الإنسان أولا»، والالتزام بمفهوم «التنمية المستدامة»، والتمسك بسياسة الانفتاح على الخارج بما يساهم في التنمية المشتركة.

يقول السفير ماتشنقانغ: «إن الصين تؤكد على أهمية

التوفيق بين الإصلاح والتنمية والاستقرار، باعتبار الاستقرار أساساً للتنمية، وشرطا مسبقا للإصلاح، والإصلاح هو مصدر القوة الدافعة للتنمية والتنمية هي مصدر الدعم للاستقرار.»

٢ - النجاح الذي حققته تجربة الصين التنموية، مما جعلها نموذجا يحتذى به.

يؤكد السفير ما تشنقانغ أن هنالك «(إجماعا) على أن خروج الاقتصاد العالمي من الركود إلى الانتعاش في السنوات الأخيرة يرجع فضله إلى التنمية المستدامة في الصين».

٣ - تدعو الصين إلى «بناء نظام سياسي واقتصادي دولي جديد على نحو منصف ومنطقي»، وإلى الاحترام المتبادل، والتشاور الجماعي، وعدم التدخل في الشؤون الداخلية، والمساواة بين جميع الدول، وحق أية دولة في المشاركة في الشؤون الدولية. كما تدعو إلى وجوب «تكريس الديمقراطية والشرعية الدولية في العلاقات الدولية، واحترام دور الأمم المتحدة وتعزيزه».

٤ - تؤكد الصين مسؤولية الدول المتطورة تجاه الدول النامية والأقل نموا في تقديم المساعدة لها بما يعمل على تحقيق التنمية وتضييق الفجوة بين الجنوب والشمال.

٥ - على الصعيد الأمني، يدعو السفير ما تشنقانغ إلى وجوب تثبيت «مفهوم جديد للأمن» يقوم على الثقة المتبادلة والمنافع المشتركة والمساواة والتعاون، وضرورة حل النزاعات عبر الحوار والتعاون بدلا من اللجوء إلى القوة. ويدعو هذا المفهوم الجديد للأمن إلى «تجاوز مفهوم الأمن لجانب واحد، وبناء أمن مشترك على أساس المصالح المشتركة والمنافع المتبادلة».

٦ - تحرص الصين على تنمية علاقاتها مع الدول العربية، والمساهمة في الجهود لإيجاد حل عادل وشامل لقضية الشرق الأوسط، بما يؤدي إلى تدعيم الاستقرار في المنطقة.

٧ - زيارة الرئيس الصيني هو جينتاو إلى مقر جامعة الدول العربية في مطلع العام الحالي، حيث تم الإعلان عن تدشين منتدى التعاون العربي الصيني. وانعقد الاجتماع الوزاري الأول للمنتدى في القاهرة في أيلول/سبتمبر الماضي، حيث تم التوقيع على وثائق مهمّة بين الجانبين في المنتدى.

٨ - مكانة الشرق الأوسط في خريطة التبادل الاقتصادي والتجاري الصينية. إن علاقات التجارة بين الصين والشرق الأوسط في تطور متسارع. فقد أصبح الشرق الأوسط من الأسواق الرئيسية التي تستورد المنتجات الصينية، كما أصبح من المصادر الرئيسية للنفط والقطن بالنسبة للصين. وإن إمكانات التكامل الاقتصادي بين الجانبين في تنامٍ منذ أواسط التسعينيّات من القرن الماضي، كما تتزايد إمكانات توسيع الاستثمارات المتبادلة بين الجانبين. وكي تترجم هذه الإمكانات إلى واقع، لا بد من تشجيع القطاع الخاص على المساهمة بدوره في تنمية العلاقات الاقتصادية والتجارية، إضافة إلى تطوير اتجاه التجارة الحرة بين الصين و(آسيان) من جهة، وبين دول الشرق الأوسط وأوروبا وأمريكا الشمالية من جهة أخرى، وتوسيع التعاون الاستثماري من خلال ضمان الأمن النفطي.

٩ - إن العَلاقات الاقتصادية والتجارية بين الصين ودول الشرق الأوسط ترتبط بالمصالح الاستراتيجية للطرفين. لذلك يرى الباحث يان

قوانق أننا «في أمس الحاجة إلى إقامة آليات للحوار الاستراتيجي بين الصين ودول الشرق الأوسط».

١٠ - إن كون الصين دولة مستوردة للنفط يجعلها، يرى الباحث يان قوانق، تولي اهتماما بالغا لتأمين استيراد النفط من الخارج. وهذا يتطلب جذب الاستثمارات في قطاع النفط، إذ إن الاستثمارات المشتركة بين الصين والدول المصدرة للنفط تتفق والمصالح الاستراتيجية للطرفين، وتعود على كل منهما بالنفع.

١١ - تسعى الصين إلى التنمية السلمية، إذ تجعل الأولوية للمصالح الأساسية للشعب الصيني والمصالح المشتركة لشعوب العالم، كما يرى الباحث آن هويخو. وتتفق الصين والدول العربية في حرص الجانبين على السلام العالمي، والاستقرار الإقليمي، ومعارضة النزوع إلى الهيمنة، وتدعيم التعددية القطبية، وديمقراطية العلاقات الدولية، ومكافحة الإرهاب. وتؤيد الصين جهود الدول العربية في سبيل إخلاء منطقة الشرق الأوسط من الأسلحة النووية. وترى أنه من الضروري ضمان استعادة الحقوق العربية المشروعة، وفي مقدمتها حقوق الشعب الفلسطيني في إقامة دولته المستقلة. كما ترى وجوب الحفاظ على استقلال العراق وسيادته ووحدة أراضيه والوصول إلى إدارة الشؤون العراقية بأيدي العراقيين أنفسهم. ويؤيد الباحث وجوب إيجاد حل عاجل وسلمي لقضية دارفور السودانية.

١٢ - إن الصين تشكر الدول العربية على التزامها بمبدأ الصين الواحدة، كما يرى الباحث آن هويخو.

١٣ - إن التحدي النفطي، في رأي الباحث د. هشام الخطيب، يعتبر أهم تحدٍ يواجه الصين في المستقبل. فالصين ستعتمد في المستقبل على الخارج بحوالي ثلاثة أرباع مستورداتها من النفط الخام. وترافق هذا الاعتماد تحديات أمنية وأعباء مالية على ميزان المدفوعات الصيني، إضافة إلى ما ينجم عن ذلك من عَلاقات وتوترات سياسية خارجية. ويزوّد الشرق الأوسط الصين بأكثر من نصف استيرادها من النفط. وإن استيراد النفط وتأمين مصادره سيكون عنصرا أساسياً في تحديد سياسة الصين الخارجية المستقبلية، خاصة في الشرق الأوسط. وإن التزايد الصيني المستمر في الاعتماد على النفط العربي يقابله نمو في الاستثمار العربي في مجال الطاقة في الصين.

١٤ - يرى الباحث فخري أبو شقرة أن السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط ترتكز على محورين: الحفاظ على هيمنة إسرائيل في المنطقة، والسيطرة على منابع النفط. وعلى دول العالم العربي في مواجهة ذلك «أن تبادر فورا لإنشاء وحدة اقتصادية تمهيدا لاتحاد كامل، أسوة بما فعلته الدول الأوروبية». وإذا أقيمت المنظومة الاقتصادية العربية واستطاعت السيطرة على مقدرات نفطها، فستصبح قوة فاعلة تستطيع تقديم الكثير لخير شعوبها ورفاهيتهم وكذلك لشعوب العالم الأخرى».

١٥ - أكد الباحث المهندس أبو شقرة الحاجة إلى توطيد مستقبل العَلاقات العربية الصينية، التي تتسم بالحيوية والمتانة والنمو المستمر، بما ينفع الجانبين ويؤمن المصلحة العليا للشعبين الصديقين. وفي هذا السياق يشير الباحث إلى تأسيس منتدى التعاون العربي الصيني في بداية هذا العام. كما سيتم في المستقبل القريب توقيع اتفاقية تعاون مع دول مجلس التعاون الخليجي لتقوية أواصر التبادل التجاري معها.

■

أبرز النقاط

١ - اقتراح د. يوسف الحسن بإنشاء معهد ثقافي صيني في عاصمة عربية عمّان أو غيرها، لتعميق الفهم والتفاهم وتعليم اللغة الصينية، على غرار المعهد العربي في باريس ومعهد غوته.

٢ - رفض مقولة صراع الحضارات، وضرورة احترام تعددية الثقافات، ورفض الزعم بتفوق ثقافة على أخرى.

٣ - تهديد الهيمنة الأمريكية وارتباطها بمكافحة الإرهاب، وتدهور الوضع الأمني في المنطقة العربية نتيجة للوضع في العراق وفلسطين، مما ينعكس سلباً على النمو الاقتصادي في المنطقة.

٤ - اقتراح د. علي عتيقة بأهمية متابعة هذه الحوارات والندوات. كيف يمكن النظر إلى العلاقة بين هذا المنتدى والمنتديات العربية غير الحكومية؟ هل يوجد في ظل الانفتاح الاقتصادي للصين منظمات أهلية أو مراكز علمية وثقافية مماثلة لمنتدى الفكر العربي؟ وإذا كانت موجودة، كيف يمكننا الاتصال بها مباشرة بصورة غير رسمية؟

٥ - موضوع السياحة: على الصين بذل الجهود للتعريف بها، وتشجيع السياحة فيها لأهمية ذلك في تنمية الثقافة.

٦ - بدأ في الصين ظهور مجتمع مدني مستقل عن الحكومة والحزب، وهنالك الكثير لنتعلم منه في هذا المجال.

٧ - أهمية استعمال الطاقة البديلة، سواء أكانت مائية أم هوائية، و العمل على توفير الطاقة.

٨ - أهمية دور الإعلام في إطار العلاقات العربية الصينية لمواجهة الهيمنة الأمريكية في هذا المجال، ونقل الصورة الصحيحة عن الصين للعرب والعكس بالعكس.

٩ - اقتراح أن تتصدى الصين لانتهاك القانون الدولي، وألا يقتصر دورها على تشجيع علاقات الصداقة مع العالم العربي.

١٠- استعمال بعض الدول، التي تشعر بأنها مهددة، لأسلحة الدمار الشامل كعامل ردع. اقتراح التزام المجتمع الدولي بنزع الأسلحة في العالم، خصوصاً أسلحة الدّمار الشّامل.

١١- مفهوم الشرق الأوسط الكبير: هذا المفهوم يستهدف، في نهاية المطاف، الصين، كما يقول د. همام غصيب، مع أنّ الصين تتحدث عن ثقافة السلام. ففي ضوء ما يجري الآن، «ماذا أعددتم – أيّها الأصدقاء الصّينيّون – لمواجهة أمريكا؟» ■





المشاركون في الندوة

المشاركون الصينيون

١ – يانغ قوانغ

٢ – لي جي قوي

٣ – لي رونغ

٤ – شيوخه مينغ

٥ – يانغ جيان

٦ – تانغ جيان ريو

٧ – ماتشنقانغ

٨ – آن هويخو

٩ – ليو باو لاي

١٠ – تشاو وي مينغ

١١ – تشين مين

١٢ – لي قوي فو

١٣ – يو شينغ وو

المشاركون العرب

١ – علي عتيقة

٢ – فخري أبو شقرة

٣ – الشريف فواز شرف

٤ – وسام الزهاوي

٥ – وليد الترك

٦ – يوسف الحسن

٧ – ثامر العاني

٨ – حمدي الطبّاع

٩ – زهير خوري

١٠ – محسن العيني

١١ – هشام الخطيب

١٢ – هُمام غَصِيب

١٣ – عصام الجلبي

١٤ – عماد جاد

١٥ – مصطفى بوطورة

برنامج
الحوار العربيّ الصّينيّ الثّالث



الإثنين: ٢٠٠٤/١١/٢٩

٩:٣٠ - ١٠:٠٠ **الجلسة الافتتاحية**
كلمة سموّ الأمير الحسن بن طلال، رئيس المنتدى وراعيه، يلقيها
أ. وسام الزّهاوي، أمين عام المنتدى
كلمة الأمانة العامّة لجامعة الدول العربيّة:
أ.د. ثامر العاني، مندوب الأمين العام، أ. عمرو موسى

١٠:٠٠ - ١٠:٣٠ **كلمة رئيسيّة**: استراتيجيّة الصّين للتّنمية وسياساتها الخارجيّة
السفير ما تشنقانغ

١٠:٣٠ - ١١:٠٠ استراحة

١١:٠٠ - ١٣:٣٠ الجلسة الأولى: العلاقات الاقتصاديّة

رئيس الجلسة: د. علي عتيقة

١١:٠٠ - ١١:٣٠ **الورقة العربيّة الأولى**: العلاقات الاقتصاديّة والتّجاريّة العربيّة الصّينيّة وآفاقها: التّحدّيات في مجال الطّاقة والنّفط العربيّ
د.هشام الخطيب

١١:٣٠ - ١٢:٠٠ **الورقة الصّينيّة الأولى**: علاقات الصّين الاقتصاديّة والتّجاريّة مع دول الشرق الأوسط
أ. د. يانغ قوانغ

١٢:٠٠ - ١٣:٣٠ **مناقشة**

١٤:٠٠ - ١٦:٣٠ غداء [تقيمه جامعة الأميرة سميّة للتّكنولوجيا في مطعم الجامعة]

١٦:٣٠ - ١٩:٣٠ الجلسة الثّانية: العلاقات السّياسيّة

رئيس الجلسة: السّفير ما تشنقانغ

١٦:٣٠ - ١٧:٠٠ **الورقة الصّينيّة الثّانية**: القراءة الصّحيحة للأوضاع وتعزيز التّعاون وتحقيق التّنمية المشتركة
السفير آن هويخو

١٧:٠٠ - ١٧:٣٠ **الورقة العربيّة الثّانية**: المتغيّرات الجيواستراتيجيّة والسّياسيّة الإقليميّة والدّوليّة
م. فخري أبو شقرة

١٧:٣٠ - ١٨:٠٠ استراحة

١٨:٠٠ - ١٩:٣٠ **مناقشة**

١٨:٠٠ - ١٨:١٥ السّفير ليو باو لاي

٢١:٠٠ عشاء [يقيمه المجلس الأعلى للعلوم والتّكنولوجيا في مطعم شهرزاد/فندق كراون بلازا عمرة، عمّان]

الثّلاثاء: ٢٠٠٤/١١/٣٠

١٠:٠٠ - ١٢:٣٠ الجلسة الثّالثة: مائدة مستديرة

رئيسا الجلسة: أ. محسن العيني والسفير آن هويخو

١٠:٠٠ - ١١:٠٠ **المتحدّثون**:
د. يوسف الحسن
أ. د. تشاو وي مينغ
أ. د. ثامر العاني
أ.د. دة. لي رونغ

١١:٠٠ - ١١:٣٠ استراحة

١١:٣٠ - ١٣:٠٠ **مناقشة**

١٣:٣٠ - ١٥:٠٠ غداء [يقيمه صاحب السمو الملكيّ الأمير الحسن بن طلال، رئيس **منتدى الفكر العربيّ** وراعيه في فندق ميريديان عمّان]

١٦:٠٠ - ١٧:٠٠ الجلسة الختاميّة

رئيس الجلسة: صاحب السموّ الملكيّ الأمير الحسن بن طلال

٢٠:٠٠ عشاء [يقيمه سعادة السفير لو شينغ وو، سفير فوق العادة ومفوّض لجمهوريّة الصين الشعبيّة لدى الأردنّ، في منزله]

البرنامج المرفق
للحوار العربي الصّينيّ الثّالث



Arab Thought Forum (ATF)
China Institute of International Studies (CIIS)

THIRD ARAB-CHINESE DIALOGUE

Amman; 29-30/11/2004

الحوار العربيّ الصّينيّ الثّالث

عمّان؛ ٢٩-٣٠/١١/٢٠٠٤

البرنامج المرافق

Accompanying Programme

ساعة الانطلاق Time	Place المكان	Day اليوم
١٤:٠٠ 14:00	رحلة سياحيّة في عمّان+ تسوّق Sightseeing Tour in Amman + Shopping	الأحد ١١/٢٨ Sunday 28/11
٨:٠٠ 8:00	رحلة إلى مدينة البتراء الأثريّة (تناول طعام الغداء في فندق الموفنبيك) Trip to the Ancient City of Petra (lunch will be served at *Mövenpick* Hotel)	الأربعاء ١٢/١ Wednesday 1/12
٩:٠٠ - ١٢:٣٠ 9:00 - 12:30	زيارات إلى مؤسّسات متفرّقة Visits to Several Jordanian Institutions	الخميس ١٢/٢ Thursday 2/12
٩:٣٠ - ١١:٠٠	زيارة وزارة السّياحة (أ. سلطان أبو جابر) Visit to Ministry of Tourism and Antiques	
١١:٣٠- ١٢:٣٠	زيارة وزارة الخارجيّة (د. محمد علي الظّاهر) Visit to Ministry of Foreign Affairs	
١٣٫٣٠	غداء جمعيّة رجال الأعمال الأردنيّين Lunch Hosted by the Association of Jordanian Businessmen	
15:30	رحلة إلى البحر الميت + عشاء في فندق **الماريوت**- [يقيمه المنتدى] Trip to the Dead Sea + Dinner at the **Marriott** Hotel , hosted by ATF	
	صباح حرّ والاستعداد للسفر Free Morning & Preparation for Travel	الجمعة ١٢/٣ Friday 3/12

السّجلّ المصوّر



بمناسبة انعقاد الحوار العربيّ الصينيّ الثّالث

الصّين بعيون عربيّة

د. مهند مبيضين *

لم تكن أرض الصين في عيون الجغرافيين العرب مجرد موانئ نشطة تصدر السجاد والفخار وتصنع الشاي والثياب المزركشة والصنائع المتقنة وحسب، بل إن القاسم المشترك بين تلك العيون هو الإعجاب بعدل الملوك والحكم الرشيد في الصين. ولا نعرف ما أسباب تدوين الجغرافيين العرب لوصف عدل الملوك وطرق الحكم بين الرعية. فهل كانوا يبحثون عن المفقود في بلادهم وينشدونه في غير سلاطينهم وخلفائهم؟ أم أنهم كانوا معنيون فقط بنقل الصورة ومجرد الوصف ليتدبر أهل السياسة في بلادهم.

إلى جانب ذلك يقدم الجغرافيون العرب وصفا للعادات والتقاليد والعبادة في أرض الصين، ويحددون الطريق إليها، ويروون بعض العجائب عن ناسها وما يوجد فيها من حيوانات. كما يذكرون طبيعة رؤية أهل الصين للخليفة المسلم وهيبة حكمه في ذاك الزمان.

خبر الأخبار

أورد الطبري وغيره من المؤرخين خبر الحوار الذي دار بين البعثة التي أرسل بها قتيبة بن مسلم الباهلي إلى ملك الصين سنة ٩٦هـ/ ٧٥٦م، وأمرهم أن يبدلوا لباسهم في كل يوم. وكان لباس اليوم الأول ثيابا بيضاء تحتها الغلائل، وقد تدهنوا وتبخروا ودخلوا على مجلس الملك - وهو آنذاك الإمبراطور «شوان تزونغ» - فلم يكلمهم أحد. وعندما قاموا سأل الملك رجال مجلسه عن رأيهم بهم، فقالوا: ما هؤلاء إلا نساء، ما بقي منا أحد حين رآهم ووجد رائحتهم إلا انتشر ما عنده. وفي اليوم الثاني أرسل الملك إليهم، فدخلوا عليه يلبسون الوشيَ وعمائم الخز والمطارف. وعندما دخلوا عليه قال: إرجعوا. وسأل جلساءه كيف رأيتم هذه الهيئة؟ قالوا: إنها أشبه بهيئة الرجال من تلك الأولى، وهو أولئك. وفي اليوم الثالث أرسل الملك لهم، فشدوا سلاحهم، ولبسوا البيض والمغافر، وتقلدوا السيوف، وأخذوا الرماح، وتنكبوا خيولهم. فلما دنوا ركزوا رماحهم، ثم أقبلوا مشمرين، فقيل لهم قبل أن يدخلوا: إرجعوا، لِمّا دخل قلوبهم من الخوف. فشدوا على خيلهم واختلجوا رماحهم. فلما أمسى الملك سأل أصحابه كيف ترونهم؟ قالوا: ما رأينا مثل هؤلاء قط. فقال ابعثوا إليّ بزعيمهم. وكان هبيرة بن المشمرج. قال الملك له: لم صنعتم ما صنعتم من الزي؟؟.

قال المشمرج:«أما زينا الأول فلباسنا في أهالينا وريحنا عندهم. وأما يومنا الثاني فهو لباسنا إذا أتينا أمراءنا. واليوم الثالث هو زينا لعدونا». قال الملك: ما أحسن ما دبرتم دَهركم .... ثم أمرهم الملك بالانصراف وهددهم بالقتل. فقالوا للملك إن قائدهم أقسم «أن يطأ أرض الصين ويفتحها ويختم على ملوكها، ويُعطى الجزية». قال الملك لما وجد منهم من شدة وبأس شديد: «إنا نخرجه من يمينه، نبعث إليه بتراب من أرضنا فيطأه، ونبعث بجزية يرضاها، ونبعث إليه بعدد من

* أستاذ مساعد في التاريخ والحضارة/ جامعة فيلادلفيا؛ كاتب في جريدة الغد.

أبنائنا». وعندما وصلت الصفائح ومعها هدية من الملك قوامها أربعة غلمان من أبناء الملوك، والجزية، وطأ قتيبة التراب وقبل الجزية، وختم الغلمان الأربعة وردهم إلى ملك الصين، فكان أن بَرّ بيمينه.

في هذا الخبر بدا إمبراطور الصين رجل سلام حقيقي على قدر من الحكمة في تجنب الحرب وإراقة الدماء. كما بدا قتيبة بن مسلم على قدر من الحنكة والفطنة حين ختم الغلمان- والمقصود بالختم هنا وضع الأطواق في الأعناق، وهو فعل من تقاليد الاستسلام في ذلك الزمان- الأربعة وردهم ولم يحتفظ بهم، تعبيرا عن إخضاع الصين لحكم الخليفة الوليد بن عبد الملك. وفي ذلك أنشد سواده بن عبد الله السلولي مادحا عمل قائد البعثة:

لم يرضَ غير الختم في أعناقهم

ورهائن دفعت بِحَمل سمَرَّج

أدّى رسالتك التي استَرعَيتَهُ

وأتاك من حِنثِ اليمين بمخرج

ولا تنقطع الأخبار عند المؤرخين العرب عن بلاد الصين. فيذكرون جيش النجدة الذي أرسله الخليفة أبو جعفر باني بغداد، ويتراوح بين ثلاثة وأربعة آلاف مقاتل لإنقاذ عرش الإمبراطور «سو تزونغ». وقد وصلت النجدة سنة١٤٥هـ/٧٦٢م، وقاتلت إلى جانب الحرس الإمبراطوري ودحرت المتمردين نهائيا. كما إن الإمبراطور الصيني عندما قرر بناء قصر الشهير الماثل حتى اليوم، كان قد أرسل وفدا للإطلاع على تصاميم بغداد، فنقلوها وبنوا على غرارها.

الهر والكلب

حين كتب «فرنان بردويل» عن شعوب المتوسط والعالم المتوسطي، قرر بأن عالم المتوسط يحوي ثلاث حضارات هائلة، تشكل كل منها مجموعة ثقافية لها خصوصيتها وأنماطها في الفكر والعيش والمأكل. ووصف بردويل في كتابه الذي نال شهرة كبيرة في أوانه شكل العلاقة بين الحضارة العربية والحضارة الغربية فقال: «والغرب والإسلام هما كالهر والكلب يجمعهما تعارض عميق يقوم على التنافس والعداء والاقتباس، إنهما عدوان متكاملان، الأول ابتكر الصليبية وعاشها، فيما ابتكر الثاني الجهاد وعاشه...».

وبالرغم من أن آراء بردويل كانت قد صدرت منذ زمن طويل، إلا أنها ظلت ماثلة في أذهان الكثيرين من المحللين والدارسين للعلاقة بين الشرق والغرب، خاصة أولئك الذين استمسكوا بالتفسير العدائي وقالوا بحتمية المواجهة، وما آراء صموئيل هنتنغتن وفوكوياما وغيرهما إلا استمرار لذلك النهج.

في أخبار التاريخ أن العرب ومن بعدهم المسلمين عملوا على إقامة علاقات وطيدة مع جيرانهم، وحافظوا على التراث الذي ورثوه من تلك الحضارات التي أخضعوا ديارها لحكمهم، كما أنهم سعوا على أن يكونوا جزءًا من المشهد العالمي، فتعاونوا مع غيرهم من الأمم والشعوب وفهموا مسألة المصالح الدولية جيدا. وإحدى أهم فصول ذلك المشهد هي العلاقة بين العرب المسلمين وبلاد الصين، التي صورها الجغرافيون والرحالة العرب بتفاصيل دقيقة نقلوا من خلالها أهم ملامح بلاد الصين، وكانت تلك الرحلات بدوافع مختلفة. كما وثق المؤرخون العرب بدايات التواصل العربي، واهتموا ببلاد الصين، وذكروا مجمل تاريخها.

عيون عربية على الصين

اتفقت المصادر التاريخية على وجود علاقات تاريخية بين العرب والصين قبل الإسلام. والعنوان العام لهذه العلاقة هو التجارة، إلى جانب الحديث عن العلاقات السياسية وتبادل الرسائل بين ملوك الصين وسلاطين الإسلام. أما عن وصف بلاد الصين، فقد تناولها الجغرافيون العرب بالتفصيل الدقيق منذ القرن التاسع

للميلاد، واستمروا حتى مطلع القرن العشرين.

العين المسلمة الأولى في وصف بلاد الصين كانت لجغرافي مسلم من أصول فارسية، وكان جده مزدكيا - نسبة إلى مزدك - وهو أبو القاسم عبيدالله بن خرداذبة، وقد كان والده حاكما لطبرستان. ونشأ ابن خرداذبة محبا للسفر، لكن إقامته في العراق كانت مطولة لأنه عمل مديرا لديوان البريد. وبين العامين ٢٣٠-٢٣٤هـ/ ٨٤٤-٨٤٨م كتب الرجل كتابه المعروف «المسالك والممالك»، وضمنه أخبار وأوصاف لبلاد الصين. غير أن ابن خرداذبة لم يكن قد وصل الصين بقدر ما اعتمد على تقارير وأخبار أصحاب البريد المُرسلة من المناطق الشرقية لدار الخلافة، فذكر محطات البريد والطرق المؤدية لبلاد الصين والمرافئ الشهيرة، وأشار إلى «بلاد الواقواق»، وبين حدود البلاد.

ورحل تاجر من بلاد «سيراف» اسمه سليمان السيرافي نحو الصين أكثر من مرة عن طريق الهند وبلاد جاوة. ويبدو أن هذا التاجر أراد أن يدون ما لاحظه وشاهده، فشرع في عام ٢٣٦هـ/ ٨٥٠م بكتابة أخبار رحلاته ومشاهداته عن بلاد الصين وغيرها في كتاب سماه: «سلسلة التواريخ»، حيث أتم الجزء الأول منه ثم توفي. وميزة السيرافي عن سابقه ابن خرداذبة في كونه لم يعتمد السماع، ونقل الأخبار، بقدر ما نجده يكتب التجربة والمعاش والمشاهدة، وإن كان قليل التعليل والتفسير لما يراه، فهو تاجر بالدرجة الأولى.

ففي الجزء الأول من سلسلة التواريخ، نجده يقول: «إن أهل الصين اتفقوا على أن في الدنيا المعروفة في ذلك الوقت أربعة ملوك. وحسبوا أن أعظمهم ملك العرب، أي خليفة بغداد، لأنهم اعترفوا بلا نزاع ولاتردد بأنه أكبر الملوك في العالم لثروته الواسعة، ولعظمة قصره الشاهق، ولشوكته العسكرية، ولأنه رئيس للدين الحنيف السامي الذي ليس له نظير في الأديان. ووضع الصينيون ملكهم في الدرجة الثانية عظمة وقوة، ثم ملك اليونان، ثم ملك بلهرا في الهند». وذكر أيضا في كتابه حالة البحر والتجارة، وأسماء البضائع والموانئ، ونظام الحكم والعادات.

في كتابه يرى السيرافي أن بلاد الصين أنزه وأحسن وأقل مرضا وأطيب هواء، ويندر أن يجد المرء فيها أعمى أو أعور، ويشبه أهل الصين بالعرب من حيث اللباس، ويروي قصصا تبين عدل الملك.

ويتحدث عن طعام الصين وأكل أهلها، فيقول: «وطعامهم الأرز، وربما طبخوا معه الكوشان، فصبوه على الأرز فأكلوه. فأما الملوك منهم فيأكلون خبز الحنطة واللحوم من سائر الحيوان ومن سائر الخنازير وغيرها، ولهم من الفواكه التفاح والخوخ». والسيرافي أول من تحدث عن شرب الشاي وطريقة صنعه، فقال: «ولهم نوع من الحشائش يسمى «الساخ» يطبخونه مع الماء ثم يشربونه». وهو معجب بعدم تزويج أبناء الأقارب لبعض فيقول: «ولا يزوج أحد منه قريبا ولا ذا نسب، فلا تتزوج القبيلة من قبيلتها... ويدّعون أن ذلك أنجب للولد...».

غير أن سليمان السيرافي لم يتمم كتابه «سلسلة التواريخ»، تاركا المهمة بعده لأبي زيد الحسن السيرافي، الذي صرح بأنه لم يذهب إلى الصين، بل اعتمد في إتمام الكتاب على مشاهدات الناس وتمحيص الروايات والأخبار. لذا جاء الكتاب بمعلومات أكثر فائدة حول طبيعة الإسلام وتاريخه في الصين.

مع النصف الثاني من القرن الثالث الهجري يبدأ مؤرخ مسلم هو أحمد بن أبي يعقوب المشهور باليعقوبي وهو عباسي النسب - وكان قد اتصل بالعائلة الطاهرية بخراسان - في رحلة جديدة رحل خلالها إلى الهند والمغرب ومصر، وألف كتابا في التاريخ انتهى منه سنة٢٥٨هـ/ ٨٧٢م.

لكن معارف اليعقوبي عن الصين تختلط بها الغرائب،

خاصة فيما يخص الطريق التي يصل بها المرء إليها عبر البحر، فيقول: إن الصين بلاد واسعة إذا أراد أحد السفر إليها بحرا، عليه أن يجاوز سبعة أبحر، يختلف كل واحد منها في اللون والرائحة والأمواج وغيرها من المخلوقات البحرية، والأول من هذه البحار بحر فارس...، والبحر الثاني هو بحر (لاروى)، وهو بحر كبير فيه جزائر وأقواق وسكانها من جنس الزنج...، والثالث بحر (هركند)...، والرابع بحر «كلاه بار»، والماء فيه قليل والأفاعي فيه عظيمة، وتوجد فيه أشجار الكافور بكثرة، والخامس بحر «لاهط»، وهوبحر عظيم كثير العجائب وفير الغرائب، والسادس بحر«كتدرنج»، والسابع «بحر صنخي»...الخ.

ذروة الاهتمام بالصين

في القرن الهجري الرابع /العاشر الميلادي يبرز جغرافي مسلم هو أبو بكر محمد بن اسحق الهمذاني صاحب كتاب «البلدان»، وقد انفرد عن سابقيه بذكره «وقواقين»، الأول وقواق خلف الصين، وقد ذكره من قبل ابن خرداذبة والسيرافي، وأما «الوقواق الآخر، فهو وقواق المتوسط الذي يوجد فيه ذهب أدنى درجة مما يوجد في وقواق الصين». والهمذاني- ويعرف أيضا بابن الفقيه - كان أول من قدم وصفا عن الصناعات اليدوية في الصين، خاصة الفخار والأواني الخزفية.

ولعل القرن ٤هـ/١٠م كان ذروة اهتمام الكتاب العرب بالصين. ففي هذا القرن برز مؤرخ وجغرافي من أسرة عربية يعود بنسبه على الصحابي عبدالله بن مسعود، وهوأبو الحسين علي بن الحسين بن علي الشافعي المسعودي. وقد مال منذ حداثته إلى الترحال، كما أراد أن ينمي ثقافته ويزيد من معلوماته بالمشاهدة والمعاينة بعد أن انتهى من القراءة والاطلاع. وقد كانت رحلته الأولى عام ٣٠٩هـ/ ٩٢١ م، فغادر بغداد إلى الأطراف الشرقية من الدولة العباسية، فطاف ببلاد فارس وكرمان، واستقر فترة في اصطخر. وكانت هذه البلاد مرتبطة ارتباطا وثيقا بالدولة العباسية. وبعد عام واحد رحل إلى الهند وملتان والمنصورة، ثم عطف إلى كنباية، فصيمور، فسرنديب (سيلان). ومنها ركب البحر مصاحبا بعض التجار إلى بلاد الصين، وجاب المحيط الهندي، وزار جزائره وموانيه، وقد توقف في كل من مدغشقر وزنجبار، ثم عاد في نهاية رحلته إلى عُمان.

ضّمن المسعودي كتابه الشهير «مروج الذهب ومعادن الجوهر» معلومات عن الصين استقاها من سابقيه وما شاهده في رحلته عن الصين، خاصة ما يتعلق بأمور العبادة والعادات وأسماء الأنهار وأنواع ظباء المسك، وهو معجب بأخلاق ملوك الصين.

يتوقف المسعودي عند ملاحظة خاصة بملوك الصين فيقول: «إن ملوك الصين ذوو آراء ونحل، إلا أنهم مع اختلاف أديانهم غير خارجين عن قضية العقل والحق في نصب القضاة والحكام وانقياد الخواص والعوام على ذلك، وزعموا أن المُلك لا يثبت إلا بالعدل، فإن العدل ميزان الرب، وإن من العدل الزيادة في الإحسان مع الزيادة في العمل».

في نهاية القرن الميلادي الحادي عشر/ الخامس الهجري(١١٠٠م/ ٤٩٣هـ) ولد في مدينة سبتة بنواحي المغرب أبو عبد الله محمد بن محمد بن الأندلسي الحسيني، من سلالة الأدارسة الأشراف (ولذلك لقب بالإدريسي)، وقد استقر زمناً في بلاط الملك النورماندي روجر الثاني في بالرمو فلقب بالصقلي، وكان استقرار الإدريسي في صقلية أكثر من مجرد استضافة ملك لأمير عالم. فقد كلفه ووضع بخدمته مئة من العلماء المحبين للأسفار ومعهم المصورون و الرسامون. كانت هذه الرحلة تعد أول بعثة علمية تجوب ممالك العالم الوسيط، وسجل الإدريسي كل ما شاهده في هذه الرحلة في كتابه **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، وزوده بخريطة عامة للأرض، وسبعة خرائط تمثل أقاليم العالم السبعة المعروفة آنذاك، ومنها الصين.

في نزهة المشتاق يبدو الإدريسي معجبا بالصين، وطريقة حكمها، وكيفية رفع العرائض والشكاوى لملوكها والنظر فيها. وبالرغم من أنه لم يصل تلك البلاد في رحلته، ولكونه لم يفصح عن مصادره، فإن مصادر معلوماته عن الصين تظل مثار سؤال؟؟

يبدو إعجاب الإدريسي بالصين عندما يتحدث عن كيفية تقرب المظلومين للملك وكيفية إنصافه لهم. وهو يذهب إلى التفاصيل التي تشرح صورة مجلس العدل والإنصاف، وهو مجلس يرأسه الملك، فيقول: «واليغبوغ يقال له ملك الملوك، وهو ملك حسن السيرة وعادل في رعيته، رفيع في همته، قادر في سلطانه، مصيب في رأيه، حازم في اجتهاده، شهم في إرادته، لطيف في حكمه، حليم في تحكيمه، وهاب في عطائه، ناظر في الأمور القريبة والبعيدة، بصير بالعواقب، تصل أمور عبيده المستعضفين إليه من غير منع ولا توسط، وإن له في قصره مجلسا قد أتقن بنيانه، وأحكم سمكه، وأبدعت محاسنه، له فيه كرسي من ذهب يجلس فيه.... يقف بين يديه المظلوم فيسجد، ثم يقف فيمد الملك يده له، فيأخذ كتابه منه وينظر فيه، ثم يرفعه على وزرائه، ويحكم له بما تقتضيه مواهبه وشرعه من غير تسويف ولا تطويل ولا وساطة ولا حاجب، ومع ذلك، فإنه مجتهد في دينه، مقيم للشريعة، كثير الصدقة على الضعفاء، ودينه عبادة البدود - البوذية.»

بعد الإدريسي انبرى رجل من أهل غرناطة للسفر نحو الصين، وهو محمد بن عبد الرحمن الغرناطي الأندلسي، توفي سنة٥٦٥هـ/١١٦٩م، وقد ألف كتابا سماه «تحفة الألباب ونخبة الأرباب».

في هذا الكتاب يبدو الغرناطي كغيره من علماء المغرب، معجب بعدل ملوك الصين، وصناعتها وديباجها واختصاصها بالقراطيس، وهويروي شيئاً من عجائب الصين التي سمع عنها، ومنها «طير الرخ» الذي اشتهر بكبر ريشه، وهو طير خيالي ذكر في ألف ليلة وليلة.

وعلى الرغم من نقله من مصادر سماعية، يبدو ياقوت الحموي صاحب معجم البلدان، منفردا في بعض المعلومات، ومنها العلاقات التي كانت بين ملك تركستان وملك الصين. وتلا ياقوت عدد من الجغرافيين الذين رحلوا إلى الصين، أو اهتموا بتدوين أخبارها مما سمعوه عنها، ومنهم أبو الحسن بن سعيد (توفي ١٢٧٤م)، وهناك ابن الوردي زين الدين أبو حفص بن عمر صاحب كتاب «خريطة العجائب وفريدة الغرائب».

غير أن وليد طنجة المعروف الشهير بابن بطوطة يكاد يكون أشهر جغرافيي القرن الرابع عشر الميلادي. وقد قضى من عمره أربعة وعشرين عاما مرتحلا، زار خلالها الصين، ووصفها فذكر مراكبها، وطرق البيع فيها، وأنواع الدراهم فيها، وأشهرها عنده «دراهم الكاغذ»، وهو معجب بصناعاتهم، خاصة الفخار، فيذكر طريقة صنعه، ويبين أنواعه.

وقد اجتهد علماء غير عرب في وصف الصين، منهم عبد الرشيد بن صلاح بن نوري الشهير بابن الباكوي، المنسوب إلى باكوة على بحر الخزر(قزوين)، وهناك «سيد علي الجلبي» التركي الأصل، وقد أرسله في الرحلة السلطان سليمان العثماني سنة ٩٦١هـ/ ١٥٥٣م، وقد ألف كتابا سماه «مرآة الممالك».

واستمر اهتمام العرب بالصين في العصور الحديثة. فقد تحدث الشيخ بيرم التونسي عن الصين في كتابه «مستودع الأمصار». وعندما ترجم الأمير شكيب أرسلان كتاب «حاضر العالم الإسلامي» لمؤلفه «ليتورب ستودارد» علق على المعلومات التي أوردها المؤلف عن الصين، ونشرها في شكل مقالات آنذاك في مجلة «المقتطف». وقد استمر الاهتمام بالكتابة عن بلاد الصين حتى اليوم لما تقدمه للدارس في تاريخها من معلومات ومعارف تعكس طبيعة الثراء المعرفي والحضاري لحركة التاريخ في تلك البلاد عبر العصور المتعاقبة. ■

منتدى الفكر العربيّ
اللّجنة الاقتصادية والاجتماعيّة لغربيّ آسيا (الإسكوا)

مائدة مستديرة
«الفكر العربيّ في سياقٍ إقليميّ»

مقرّ الإسكوا – بيروت؛ ٢٠٠٤/١٢/١٦

البيان الخِتاميّ

عُقدتْ في بيروت يوم الخميس الموافق ٢٠٠٤/١٢/١٦ مائدةٌ مستديرةٌ مشترَكةٌ بين منتدى الفكر العربيّ برئاسة سموّ الأمير الحسن بن طلال، رئيس المنتدى وراعيه؛ واللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربيّ آسيا (الإسكوا) برئاسة دة. مرفت تلاوي، الأمين التنفيذي للإسكوا. كما شارك فيها عددٌ من الضيوف العرب والأجانب بناءً على دعوةٍ شخصيّة من سموّ الأمير الحسن.

قُدّمت في هذه المائدة المستديرة ورقتا عمل من المهندس مالك الكباريتي (رئيس المركز الوطني لبحوث الطاقة، عمّان - الأردن)؛ والدّكتور توماس شاور Dr. Thomas Schauer (مدير مركز الدعم الأوروبيّ، نادي روما).

ركّز المهندس مالك الكباريتي في ورقته على منظّمة التعاون عبر المتوسط للطّاقة المتجدّدة TREC، التي تُعنى بالتّنمية واستقرار المناخ وحُسن الجوار. وبيّنَ كيف تهدف هذه المنظمة إلى المساعدة على تحويل إقليم البحر الأبيض المتوسط من مِنطقة انقسامات ونزاعات إلى مِنطقة يسود فيها الانسجام من حيث التّنمية الاجتماعية والاقتصادية والتعاون وحُسن الجوار.

أما الدّكتور توماس شاور فقد بيّنَ في ورقته تأثير تكنولوجيات المعلومات والاتصالات الحديثة على مسيرة التنمية المستدامة. كما قدّمَ إيجازاً عن مشروع «الوعي البيئيّ في أوروبا، مع تركيز على أوروبا الوسطى وأوروبا الشرقية».

بعد ذلك قدّمَ خبراء الإسكوا رؤاهم حول هذه الموضوعات. وبعد مناقشاتٍ مستفيضة انتهى المشاركون إلى التوصيات والمقترحات الآتية:



- السّعي إلى النّهوض بأنشطةٍ عبْر قُطريّة وعبْر إقليميّة وحتى عبْر قاريّة في إطار المشاركة بين الحكومات والمجتمع المدنيّ، بهدف تطوير الوعي بالتحدّيات التي تُواجهها المِنطقة في شتّى المجالات.

- تشجيع تأسيس هيئةٍ لمنظمات المجتمع المدني في المنطقة، مماثلةٍ لهيئة هلسنكي للمواطنين التي انبثقت في أواخر الثمانينيّات من القرن الماضي وكانت فاعلةً في نقل الأفكار والمقترحات إلى الحكومات والمؤسسات، للحوار حول القضايا الأساسية التي تهم المِنطقة.

- تقديم التصوّرات، على مستوى غير رسميّ، لمستقبل المنطقة الذي يتهدده عدم الاستقرار واندلاع الصراعات الناجمة عن التفاعلات الإقليمية والدولية، التي قد تفتح المجالات لتدخّلات أجنبية جديدة.

- إحياء حوار الجنوب - جنوب، جنباً إلى جنب مع حوار الجنوب - شمال، بناءً على جدول أعمالٍ مشتركٍ قد يتبنّى النقاط الآتية:

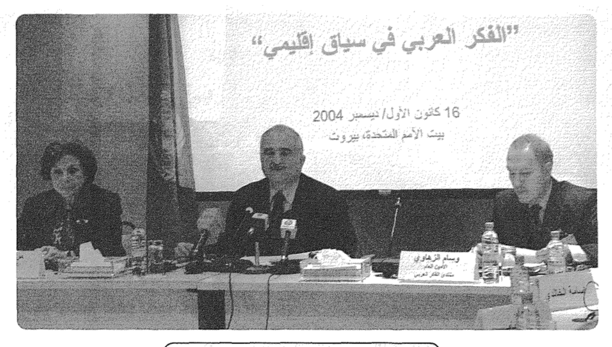
- الدعوة إلى ثقافة حقوق الإنسان، لا سيما الحقوق السياسية والمدنية.
- توجيه النّموّ السّكّانيّ.
- مكافحة الفقر بكلّ أنواعه.
- تحقيق نموٍّ اقتصاديّ متوازن وقابل للاستدامة.
- تحقيق التنمية السياسية والحكم الرشيد.
- التّنمية الاجتماعيّة.
- تأكيد ثقافة «حوار الحضارات».

- توثيق الصّلة مع منظّماتِ المجتمع المدنيّ في المنطقة، وتعميق الحوار عبر الإقليمي مع مؤسّسات المجتمع المدنيّ في مختلف المناطق ذات الأوضاع المماثلة، لا سيما في آسيا وإفريقيا، بمختلف الوسائل؛ بما في ذلك المؤتمرات (مثل مؤتمر نيودلهي المنوي عقده في ٧-٩/٢/٢٠٠٥).

- الاستفادة من التجارب الدولية الناجحة، لا سيما الأوروبية، في التنمية الشاملة وثقافة الاستدامة والبيئة المتوازنة.

- عقد موائدَ مستديرةٍ بين المنتدى والإسكوا بشكلٍ دوريّ مستندةٍ إلى برامج عمل مُعدّةٍ سلفاً.

■



برنامج العمل
الخميس ٢٠٠٤/١٢/١٦

١٠:٠٠ – ١١:٠٠ **ملاحظـات عامـّة:**
سموّ الأمير الحسن
دة. مرفت تلاوي

١١:٠٠ – ١١:٣٠ *Dr. Thomas Schauer*
"Environmental Awareness in Europe with Focus on Central and Eastern Europe"

١١:٣٠ – ١٢:٠٠ *Mr. Malek Kabariti*
"Trans-Mediterranean Renewable Energy Cooperation" (TREC)

١٢:٠٠ – ١٢:٣٠ **اسـتراحــة**

١٢:٣٠ – ١٤:٠٠ **رؤى الإسكوا + مناقشــة**

١٤:٠٠ – ١٧:٠٠ **غداء عمل + استراحــة**

١٧:٠٠ **اجتماع مجلس الأمناء**

٢١:٠٠ **عشـــــاء**

المشـــاركـــون

١ - الأستاذ الهادي البكوش*
وزير أول سابق - تونس؛ نائب رئيس المنتدى
الجمهورية التونسية

٢ - الدكتور أسامة الخالدي
مستشار علمي
عمّان - الأردنّ

٣ - الدكتور جورج قرم
خبير اقتصادي ومالي
وزير مالية سابق
بيروت - لبنان

٤ - الدكتور حمد الريامي*
مسقط - سلطنة عُمان

٥ - الدكتور طاهر كنعان
المدير العام
المركز الأردني للأبحاث وحوار السياسات الوطنية
عمّان - الأردنّ

٦ - الدكتور عبد العزيز حجازي*
رئيس وزراء مصر الأسبق؛ نائب رئيس المنتدى
القاهرة - جمهوريّة مصر العربيّة

٧ - الدكتور عدنان السيد حسين*
أستاذ، كلية الحقوق والعلوم السياسية والإدارية
الجامعة اللبنانية
عضو لجنة الإدارة في المنتدى
بيروت- لبنان

٨ - الدكتور علي أحمد عتيقة *
عمّان - الأردن

٩ - الدكتور علي أومليل *
سفير المملكة المغربية - لبنان
المملكة المغربيّة

١٠ - المهندس عمر هاشم خليفتي *
رئيس مجلس الإدارة، الرئيس التنفيذي لشركة زكا
جدّة - المملكة العربيّة السعوديّة

١١ - الشريف فواز شرف *
وزير وسفير أردني سابق
عمّان- الأردنّ

١٢ - الأستاذة ليلى شرف *
عضو مجلس الأعيان الأردني
عضو لجنة الإدارة في المنتدى
عمّان - الأردنّ

١٣ - المهندس مالك الكباريتي
رئيس المركز الوطني لبحوث الطاقة
عمّان - الأردنّ

١٤ - الأستاذ محسن العيني *
رئيس وزراء اليمن الأسبق؛ نائب رئيس المنتدى
القاهرة - جمهوريّة مصر العربيّة

* عضو مجلس الأمناء في المنتدى.



١٥ – **الدكتور محمد الفنيش** *
مستشار اقتصادي
واشنطن – الولايات المتحدة الأمريكيّة

١٦ – **الدكتور محمد الرميحي** *
أستاذ اجتماع/ جامعة الكويت
دولة الكويت

١٧ – **الدكتور محمّد السمّاك**
منسق الحوار العربيّ الإسلاميّ المسيحيّ
بيروت – لبنان

٢٠ – **الدكتورة منى مكرم عبيد** *
أستاذة/ قسم العلوم السياسية بالجامعة الأمريكيّة
القاهرة – جمهوريّة مصر العربيّة

٢١ – **الدكتور منصور خالد** *
رئيس مجلس الأمناء/ مؤسسة السودان للمعلومات والأبحاث
القاهرة – جمهورية مصر العربية

٢٢ – **الدكتورة ميرفت تلاوي**
وكيل الأمين العام للأمم المتحدة
الأمين التنفيذي للإسكوا

٢٣ – **الدكتور هشام الخطيب** *
مستشار
رئيس لجنة الإدارة في المنتدى
عمّان – الأردنّ

٢٤ – **الدكتور هُمَام غَصِيب**
مستشار سمو الأمير الحسن بن طلال
مدير إدارة الدراسات والبرامج/ منتدى الفكر العربيّ
عمّان – الأردنّ

٢٥ – **الأستاذ وسام الزهاوي**
الأمين العام/ منتدى الفكر العربيّ
عمّان – الأردنّ

٢٦ – **Dr. Thomas Schauer**
Director of the European Support Centre,
Club of Rome

* عضو مجلس الأمناء في المنتدى.

السّجلّ المصوّر



بمناسبة انعقاد المائدة المستديرة في بيْروت

الفكر العربيّ في سياقٍ إقليميّ

د. حمد بن عبد الله الريامي *

قبل الحديث عن فكر عربي في سياق إقليميّ أو دولي، يجوز لنا أن نسأل أنفسنا:

أولاً : هل توجد منظومة فكرية واحدة يمكن أن نصطلح على تسميتها بالفكر العربيّ؟ وإن وجدت، فما هي سماتها وخصائصها الرئيسية؟ وما هي المبادىء والمنطلقات والموجِّهات والثوابت الأساسيّة التي تقوم عليها هذه المنظومة الفكرية؟ وما متطلبات التغيير ودواعيه في ذلك الفكر العربي لكي يتواءم ويتفاعل إيجابياً مع المتغيرات والتحولات التي أفرزها الواقع الإقليميّ والدوليّ؟

ثانياً : الإجابة البسيطة والمباشرة هي أننا نعيش أزمة فكرية بسبب غياب المشروع العربيّ الواحد. فنحن بين ممجِّد ومقدّس للتراث الفكري، محبوس داخله، ومتمترس به ضد أي فكر جديد؛ وبين رافض له جملة وتفصيلا، ومنادٍ بفكر جديد يُخرج الأمّة من الحالة الكارثيّة التي تعيشها؛ وبين محبط وتائه بين هذا وذاك.

ثالثاً : نحن في حاجة إلى الخروج من أزمتنا الفكريّة قبل أن نتطلع إلى دور إقليمي أو دوليّ. فقد عشنا خمولاً فكرياً لسنوات طوال، وتوقف عطاؤنا للحضارة الإنسانية منذ قرون كنا فيها العنصر المتأثر وليس المؤثر في أي من مناحي الحياة السياسيّة والأمنيّة والاقتصادية والفكريّة، إقليمياً أو دولياً. نحن إذاً، في حاجة إلى ثورة فكريّة يقودها الشرفاء من مثقفي هذه الأمة، تتبنّى مشروعاً فكرياً عربياً واحداً يهدف إلى تحديث المجتمع العربيّ في إطار الموجِّهات والثوابت والقيم الحضارية العربية الراسخة، من خلال إحداث إصلاحات وتغييرات جذرية في:

١ - نظم التعليم ومناهجه لخلق مجتمع قادر على المنافسة في عصر المعرفة واقتصاد المعرفة.

٢ - نظم الحكم بهدف الوصول إلى نظام حكم راشد يقوم على الديمقراطية والحرية وتوسيع خيارات المواطنين.

٣ - النهوض بالمرأة وتفعيل مشاركتها في الحياة الاقتصادية والاجتماعية للمجتمعات العربيّة.

٤ - إشاعة قيم التسامح والتعايش السلمي والاعتراف بالآخر وبفكره والتفاعل معه، والأخذ بأفضل ما في الحضارة الإنسانية. . . .

رابعاً : إن رفض تحديث المجتمع وإدخال إصلاحات سياسيّة واقتصادية وتعليمية بدعوى التصدي لمحاولات فرض هذه الإصلاحات من الخارج هي في الواقع هروب إلى الوراء.

إن أكثر الأسلحة فاعلية في التصدي للفكر الأجنبي، وللغزو الثقافي القادم من الخارج، وللتدخل والهيمنة العسكرية والاقتصادية على مقدرات الأمة العربية، ليس هو الخواء، ولا الصراخ الرافض، ولا الانغلاق على النفس، ولا التمترس بالتراث الفكري والحضاري، وإنما هو بناء فكر جديد منفتح على الآخر، ومؤمن بالتعايش معه، ومتكيّف مع المتغيرات الإقليميّة والدوليّة، ومتفاعل مع محيطه الإقليمي والدوليّ. . متأثراً ومؤثراً فيه. ■

* عضو مجلس أمناء المنتدى.

[مقالة مترجمة]

مبادىء التّعايش السّلميّ الخمسة والعَلاقات الدّوليّة الحديثة *

آغا شاهي **

— ١ —

تشهد فترة نصف القرن التي مضت منذ قيام الصين والهند بإعلان مبادىء التعايش السلمي الخمسة على استمرار صحة هذه المبادىء في ترويج السلام والوفاق في العالم.

وتغطي هذه المبادىء الخمسة - وهي عدم الاعتداء، وعدم التدخل في الشؤون الداخلية، والمساواة، والمنفعة المتبادلة، والتعايش السلمي - جوهر قواعد القانون الدولي حول حقوق الدول وواجباتها في سبيل إنقاذ العالم من ويلات الحروب، وتوجيه شعوبه نحو تحقيق السلام والتنمية.

وعلى مر السنين، وسّعت الصين المبادىء الخمسة لتشمل نبذ السيطرة وسياسة القوة، وحق كل دولة في اختيار نظامها السياسي والاجتماعي والاقتصادي، واحترام السيادة ووحدة الأراضي، وتسوية النزاعات الدولية بالطرق السلمية والعادلة.

ويشكل ترويج نظام اقتصادي دولي يقوم على العدل والمساواة والمنفعة المتبادلة، ومصحوب بدور رئيسي للأمم المتحدة، جانباً متمماً للتعايش السلمي.

وقد ولّدت مراعاة المبادىء الخمسة، على مدى ما يزيد على نصف قرن من العلاقات الباكستانية الصينية، التفاهم العميق والثقة المتبادلة اللذين تتميّز بهما تلك العلاقات. ولقد كانت اتفاقية الحدود المبرمة في عام ١٩٦٣، والتي جعلت من جبال كاراكورم المهيبة الخط الحدودي الفاصل بينهما، حدثاً تاريخياً مهّد لتطوير أواصر العلاقات الصينية الباكستانية الشاملة والمستقرة وطويلة الأجل. ولقد صمدت هذه الاتفاقية أمام تقلب التحديات الداخلية والخارجية على حد سواء.

إنني لأطلب العذر في استذكار أمر شخصي؛ إذ حظيت بالاشتراك في المفاوضات التي استمرت حوالي ستة أشهر وانتهت برسم الخط الحدودي المشترك. وسيستمر الباكستان في تخليد ذكرى

* مقالة مترجمة عن الإنجليزيّة (إسلام أباد في ٢٠٠٤/٦/١٢)؛ ترجمة: أ. نمير عبّاس مظفّر.

** رئيس معهد الدارسات الاستراتيجية، إسلام أباد.

رئيس الوزراء شو إن لاي ووزير الخارجية تشين بي، اللذين جعلا، بروح التوافق المشترك، من الاتفاقية أمراً ممكناً في شهر كانون الأول/ديسمبر ١٩٦٢، لتوقع في شهر آذار/مارس ١٩٦٣. وكان هذا هو الحدث الذي دشن عهداً من الصداقة الدائمة بين الباكستان والصين.

إن مراعاة الصين للمبادىء الخمسة قد مكنها من حل كل نزاعاتها وخلافاتها تقريباً مع أكثر من اثنتي عشرة دولة من دول الجوار على أساس التوافق المتبادل. وإن نكران الصين لنعرة القوة العظمى ومعارضتها للهيمنة أكسباها ثقة دول الجوار، مما أزال أي احتكاك في إطار صعودها السلمي إلى مصاف القوى العالمية العظمى. إلا أن ما اشتهرت به الصين من نفور من الغطرسة قد وصل بها إلى حد الإصرار على وصف نفسها بأنها دولة نامية.

وفي شهر كانون الأول/ ديسمبر ١٩٥٣، عندما تم للصين طرح المبادىء الخمسة على لسان رئيس وزرائها شو إن لاي، كانت الحرب الباردة تستجمع زخمها، وكان العالم ثنائي القطبية، مقسوماً إلى معسكرين حربيين يواجه فيه كل من الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتي أحدهما الآخر في وقفة مصارعين ينوي الواحد منهما التدمير الأكيد للآخر. أما الشعوب غير المنحازة، فلم تكن بعد قد مأسست حركتها الناشئة. ولم تكن الصين قد تبوأت مكانها الشرعي في الأمم المتحدة. وكانت حركة تصفية الاستعمار في بداية مسيرتها.

أما اليوم فالعالم أُحادي القطبية تقوم جميع الشعوب فيه بالتعايش القلق مع القوة العظمى الوحيدة التي تطأه بخطاها الواسعة مثل عملاق هائل الحجم. وقد حققت هذه القوة تفوقاً عسكرياً وتكنولوجياً لايمكن تحديه. إلا أنه يمكن للاتحاد الأوروبي الموسع أن ينافس الولايات المتحدة الأمريكية بالقدرة الاقتصادية، لكن ما يزال يتوجب عليه صياغة سياسة خارجية ودفاعية مستقلة يمكن بها إقامة نظام عالمي متعدد الأقطاب. أما حركة عدم الانحياز فمنشغلة في عملية إعادة ابتكار أساس منطقي لاستمرار وجودها.

لقد عانت الآمال بقيام عالم يسوده السلام، التي برزت في أعقاب الحرب الباردة، من ضربات شديدة القسوة. فأعمال الإبادة الجماعية فيما كان يعرف بيوغسلافيا، وفي رواندا وبوروندي، والحروب الضروس في أفغانستان والكونغو ودول غرب أفريقيا توضح فشل النظام الدولي في الاضطلاع بالعمل في الوقت المناسب لإنقاذ البشرية من ويلات الصراعات والحروب. كما أن تواصل القمع في فلسطين وكشمير والشيشان يطرح تحدياً أخلاقياً وسياسياً كبيراً للمجتمع الدولي. وكذلك فقد كان الغرض من وراء النظرية الخبيثة لصراع الحضارات خلق بديل للصراعات الأيديولوجية في القرن العشرين بإثارة حرب على الإسلام.

إن الوحشية المريعة التي تميزت بها أحداث الحادي عشر من أيلول/سبتمبر قد جوبهت بشجب أجمعت عليه دول منظمة الأمم المتحدة كافة. وأثارت تعاطفاً مع الولايات المتحدة شمل كل أرجاء العالم. وقد شارك عدد كبير من الدول في الحرب على الإرهاب، كما واصلت هذه الدول مساهمتها في الجهود الرامية إلى إزالة هذه الكارثة من الوجود، على الرغم من أن كثيراً من هذه الدول تؤمن بأن الاستراتيجية القسرية تحتاج إلى أن تُصاحَب بتوجه

علاجي يتناول الأسباب الأساسية للإرهاب.

اغتنمت الولايات المتحدة في رد فعلها على ٩/١١ فرصة «لحظة كونها القطب الأوحد» لتطرح على نفسها استراتيجية ثورية لحماية مصالحها وأمنها الداخلي. فهي تدعي الحق بإطلاق العنان لكامل قوتها العسكرية في مهاجمة الإرهابيين والدول المتهمة بإيوائهم في حال شعورها بوجود تهديد محتمل بهجوم على أراضيها أو مصالحها حول العالم. (ورقة استراتيجية الأمن الوطني للولايات المتحدة الأمريكية - أيلول/سبتمبر ٢٠٠٢).

ترى النظرية الجديدة لأمن الولايات المتحدة فرض تغيير أنظمة الحكم في الدول التي يُشك بأنها تمتلك أسلحة للدمار الشامل، أو التي تشكل تهديداً محتملاً لأمن الولايات المتحدة أو لأمن أصدقائها وحلفائها.

ولقد استغلت بعض القوى العسكرية الرئيسية في العالم النظرية الجديدة لأمن الولايات المتحدة لتؤكد أحقيتها في استخدام القوة استخداماً استباقياً. ويحذر أمين عام هيئة الأمم المتحدة السيد كوفي أنان، المهتم بالأمر، من احتمال أن ترسي هذه النظرية سابقة تؤدي إلى تكاثر استخدام القوة، سواء بمبرر مقبول أو بمبرر غير مقبول.

إن الاستخدام الإستباقي للقوة من طرف واحد يبطل المبادىء الأساسية لميثاق الأمم المتحدة التي تحرم الاعتداء والتدخل في الشؤون الداخلية للدول، وتدعو إلى تسوية سلمية للنزاعات. وكذلك فإن الاستباقية تتجاوز حدود حق الدفاع عن النفس ضد الهجمات المسلحة كما يحدده ميثاق الأمم المتحدة وتحدده المبادىء الخمسة التي تؤكد على أسس عدم الاعتداء وعدم التدخل في الشؤون الداخلية.

وفي غضون أسابيع فقط من أحداث الحادي عشر من أيلول/سبتمبر هوجمت أفغانستان بسبب توفيرها ملاذاً لأسامة بن لادن، وتمت الإطاحة بنظام حكم طالبان. وهناك ما يقرب من ثلاثة عشر ألفاً من جنود الولايات المتحدة الأمريكية ما يزالون يقومون بحملات بحث عن فلول تنظيم القاعدة ونظام طالبان وتدميرها.

وفي شهر آذار/مارس ٢٠٠٣ تم غزو العراق وإنهاء نظام الحكم البعثي لصدام حسين. وما يزال العراق يرزح تحت الاحتلال العسكري الذي تقوده الولايات المتحدة وبريطانيا.

يواجه كلا الاحتلالين مقاومة متنامية. ففي العراق تتخذ المقاومة طابعاً وطنياً. وكما قال مبعوث الأمم المتحدة سيرجيو دي ميلهو قبل مقتله في بغداد العام الماضي، فإن المقاومة سببها الاحتلال.

أثير الرأي العام العالمي بفعل الازدراء الذي انطوى عليه رفض الولايات المتحدة وبريطانيا انتظار ترخيص من مجلس الأمن باستخدام القوة ضد العراق. وقد تم كشف زيف الادعاء بتواصل امتلاك العراق لأسلحة الدمار الشامل تحدياً لقرارات سابقة لمجلس الأمن الدولي. وفي الوقت الذي لم يحزن إلا القليلون على الإطاحة بصدام حسين، راح العالم يرقب بذعر تدمير بنى العراق الإدارية والاقتصادية التحتية وقتل الآلاف من المدنيين الأبرياء. وقد أكدت المعاملة المخزية لأسرى الحرب العراقيين وحشية الاحتلال، وأثارت المطالبة، حتى في الولايات المتحدة وبريطانيا، بإنهاء سياسة التدخل والعمل من جانب واحد.

لقد أدى الاستخدام الاستباقي للقوة من طرف واحد

ضد العراق دون تخويل من مجلس الأمن الدولي إلى فك رباط الائتلاف الواسع للحرب على الإرهاب.

ترى، لماذا لم تقم الولايات المتحدة بإعادة استخدام استراتيجيتها التي اتبعتها في أفغانستان، والتي من خلالها أعطت الأمم المتحدة دوراً قيادياً في ضمان الأمن الداخلي وإدارة الانتقال إلى الديمقراطية؟ قيل إن المنظرين من المحافظين الجدد أيدوا الحرب ضد العراق جزءاً من مخطط كبير يستهدف «إطلاق القوة عبر المنطقة»، و «إعادة هيكلة الشرق الأوسط»، و «بسط السيطرة على السوق النفطية على مدى الفترة المتبقية من حقبة النفط»، و إدامة «السيطرة الأمريكية التامة في القرن الحادي والعشرين».

لقد اتضح جلياً، منذ ذلك الحين، أن مثل هذا المخطط الاستعماري لا يمكن قبوله من الشعب العراقي ولا من الرأي العام العالمي في حقبة ما بعد الاستعمار.

- ٢ -

إن النتائج العكسية لأحادية الجانب وللاستباقية في العراق واضحة تماماً. وإذا ما اتبعت هذه الاستراتيجية ضد كوريا الشمالية لإزالة أسلحتها النووية بالعمل العسكري، فمن المحتمل جداً أن يأتي ذلك مشحوناً بعواقب قد تكون مأساوية على المنطقة. وانطلاقاً من إدراكها لمحدودية هذه الاستراتيجية، فقد عادت الولايات المتحدة إلى اعتماد الدبلوماسية متعددة الأطراف، مع قيام الصين بدور رئيسي، في تحويل شبه الجزيرة الكورية إلى منطقة خالية من الأسلحة النووية.

إن العمل المشترك تحت رعاية مجلس الأمن الدولي هو الأمر الوحيد الذي يمكن به إنقاذ عملية احتلال العراق، التي يعتبرها بعض شخصيات مؤسسة السياسة الخارجية للولايات المتحدة أمراً لا يمكن الدفاع عنه، ولذلك فإن تحديد تاريخ للانسحاب من العراق هو أمر في غاية الأهمية.

ترى، كيف كان نجاح الاستباقية أحادية الجانب في تحقيق الأهداف الجغرافية السياسية (الجيوبوليتيكية) للولايات المتحدة في حربيها على أفغانستان والعراق؟

في أفغانستان، وبفضل عملية بون، جاء التغيير بنظام حكم شرعي وذي سيادة، إلا أنه يبقى على سلطته الفعلية أن تمتد خارج حدود منطقة العاصمة. وما يزال الأمن غير مستتب على نطاق الأمة، ومن الضروري نزع أسلحة ميليشيات أمراء الحرب وتسريحها. ومن جانب آخر، فإن الانتاج غير المشروع للأفيون قد تصاعد ليشكل نسبة ٧٥٪ من الرقم العالمي. كما إن عملية إعادة الإعمار تسير ببطء بسبب تعثرها بانعدام الأمن. وقد تغدو تحضيرات إجراء الانتخابات في شهر أيلول/سبتمبر لتنصيب حكومة ممثّلة أمراً صعباً بسبب تصاعد المقاومة.

وفي العراق يمكن القول إن غداً لناظره قريب فيما يتعلق بحكومة الدكتور إياد علاوي المؤقتة ومدى قبول العراقيين بها حكومة شرعية وذات سيادة. وإن قرار مجلس الأمن الصادر في الثامن من حزيران / يونيو يحدد نهاية كانون الثاني/ يناير ٢٠٠٦ تاريخاً لانسحاب قوات الاحتلال، لكنه لا يزيل الشك حول السيادة التامة للحكومة المؤقتة في

علاقتها مع قوات الائتلاف، التي تقودها الولايات المتحدة، فيما يتعلق بالحملات العسكرية الكبيرة. كما تبقى سيادتها على إدارة مصادر نفط العراق، وأمنه الداخلي، وقيادة جيشه الجديد أمراً غامضاً. ويمكن أن تعرض الحرب الأهلية التي قد تندلع بسبب صراعات القوى الإثنية (العرقية) والطائفية وحدة العراق وسلامة أراضيه للخطر. وكذلك فإن الطريق إلى الانتخابات وتشكيل حكومة ممثّلة في العراق تكتنفها المصاعب.

إن فضيحة سوء معاملة السجناء في سجن أبو غريب وغيره من مراكز الاعتقال، التي جاءت انتهاكاً لأحكام اتفاقية جنيف الخاصة بمعاملة أسرى الحرب، قد وجهت ضربة قاصمة لمصداقية الولايات المتحدة الأخلاقية في مضمار ترويج مبدأ حكم القانون واحترام حقوق الإنسان في المنطقة.

وإن التأكيدات السابقة على استخدام القوة العسكرية بغرض فرض الديمقراطية واقتصاد السوق الحر على العراق، بوصفها نموذجاً لإعادة صياغة النظام السياسي والاقتصادي الداخلي لمنطقة الشرق الأوسط الكبير، يصار الآن إلى التخفيف من حدتها بعبارات مهدئة تتعلق بإقامة شراكة بين مجموعة الدول الثماني الكبار (G-8) ودول الإقليم لدفعه باتجاه مثل هذا التحول. ويصر القادة العرب من جانب آخر على أن الإسهام في الحاكمية السياسية، إضافة إلى موقع المرأه في المجتمع، وغير ذلك من الإصلاحات التحررية، لا بد من ربطها تحديداً بالظروف والتقاليد الخاصة بمجتمعاتها، وعلى نحو مشروط، بالظروف الخاصة بخريطة الطريق الإسرائيلية الفلسطينية للجنة الرباعية المتعلقة بتسوية سلام تفاوضية من أجل إقامة دولة فلسطينية قابلة للحياة والنمو.

ينطلق إلحاح الولايات المتحدة على إصلاح الشرق الأوسط من إيمانها بأن السبب الرئيسي للإرهاب يكمن في الحاجة إلى الحرية والديمقراطية في الشرق الأوسط، إلى جانب الفقر. ومن هنا يأتي حسها برسالتها المُخلِّصة باعتبارها أمة «ذات طبيعة استثنائية» و«لا يمكن الاستغناء عنها» في مضمار دفع العالم العربي إلى التكيُّف مع المبادىء والمصالح الأمريكية. وهي تصر على أن هذا التحول الجذري هو وحده الذي يجعل المنطقة مجالاً آمناً لها ولإسرائيل، وينطوي على عهد بتبديد حالتي اليأس والغضب في «هلال الأزمات» - الشرق الأوسط الكبير - اللتين تبعثان الشعور بالكراهية، وتولدان الإرهاب ضد الغرب.

إن المزاج السياسي السائد في الولايات المتحدة يجعل صُنّاع السياسة والرأي العام منغلقين لا يتقبلون قناعة بديلة - وهي أن الكراهية والإرهاب ينبعان من الاحتلال الإسرائيلي المتواصل وغير العادل للأراضي الفلسطينية ومن الاستعمار الإسرائيلي لهذه الأراضي عن طريق المستوطنات.

لقد حققت الولايات المتحدة اثنين من أهدافها الحربية الاستراتيجية: إقصاء العراق باعتباره ثقلاً عسكرياً محتمل التوازن مع الهيمنة الإسرائيلية على المنطقة؛ وعزل الفلسطينيين وقمعهم بالاستعمال غير المتكافىء للقوة، مما يجعل أقصى ما يمكن أن يقدم لهم مقاطعات مطوّقة في الضفة الغربية، كتلك التي يسكنها الزنوج في أفريقيا، بدلاً من الوعد بدولة فلسطينية قابلة للحياة والنمو.

وعلى الرغم من هذين العائدين الجغرافيين السياسيين

لكل من الولايات المتحدة وحليفتها الاستراتيجية، فإن حدود أحادية الجانب والاستباقية، التي تظهر بجلاء في إشكاليات العراق وكوريا الشمالية، تجعل من الضروري الرجوع إلى تعددية الأطراف المفترضة في مبادىء ميثاق الأمم المتحدة والمبادىء الخمسة.

يقول تموثي غارتون آش Timothy Garton Ash : «لا يعني الفشل الذريع في العراق نهاية الإيمان الإنجيلي أحادي الجانب، ذي البعد الواحد، بالقوة العسكرية الأمريكية باعتبارها المفتاح لسياسات العالم». بيد أن هذه السياسة، التي هي بالأساس نظرية قوة مفرطة، لا تجد قبولاً لدى الغالبية العظمى من أعضاء المجتمع الدولي، خاصة دول العالم الثالث التي برزت نتيجة عملية إزالة الاستعمار التاريخية الكبيرة، على الرغم من أن الكثير من هذه الدول تعاني من أنظمة حكم سلطوية، وحاكمية رديئة، وعدم احترام لحقوق الانسان، وفساد، وفاقة مهلكة.

وعلى الرغم من استقلالية هذه الدول، فإن هذا التردي قد شجع مدرسة جديدة للمؤرخين في الغرب على تأييد فكرة فرض استعمار جديد للولايات المتحدة على دول العالم الثالث، على غرار نموذج الامبراطورية البريطانية الذي عرفه القرن التاسع عشر، حتى مع تحسر هؤلاء المؤرخين على إنعدام «الرغبة في سلطة إمبراطورية» لدى الشعب الأمريكي.

ـ ٣ ـ

إن ارتباط الباكستان والهند باتفاقية ثنائية تلزمهما باحترام المبادىء الخمسة من شأنه أن يوفر سياقاً مفضياً إلى تطبيع العلاقات بينهما. وعلى مدى العقود الماضية، اقترحت الباكستان عدة مرات عقد معاهدة عدم اعتداء، أو عدم نشوب حرب بين الطرفين، إلا أن ذلك كان يقابل برفض من قبل الهند.

إن رفض مبدأ الهيمنة، وتبني مبدأ التسوية السلمية والعادلة للصراعات عبر عملية حوار لإيجاد حل منصف للنزاع حول جامو وكشمير، الذي امتد فترة ستة وخمسين عاماً وكان سبباً لاندلاع حربين بين الهند والباكستان وتواصل حالة التوتر بينهما، يمكن أن يؤدي إلى حل يجد قبولاً لدى الطرفين ولدى أهالي كشمير. وقد لا يكون تحويل خط المراقبة إلى خط حدود ثابت حلاً منصفاً، وبذلك لن يكون مقبولاً.

وبخلاف النزاعات حول الأراضي والعقارات، فإن قضية كشمير تتعلق بمصير إثني عشر مليوناً من الأشخاص الذين ما زالوا يناضلون ويضحون بحياتهم منذ ما يزيد على نصف قرن من أجل تحقيق الحرية. فهل يجوز تجاهل رغباتهم عن طريق تحويل خط لوقف إطلاق النار، أو خط للمراقبة، إلى خط حدود دائم؟ إن حق أهالي كشمير في تقرير مصيرهم، الذي تعهدت لهم به كل من الهند والباكستان وكرسه المجتمع الدولي، يواجه خطراً حقيقياً.

إن الأجواء في الوقت الحاضر ملائمة لإجراء حوار بين الهند والباكستان بهدف تسوية خلافاتهما ونزاعاتهما القائمة، بما في ذلك النزاع الجوهري حول جامو وكشمير. وتشكل معطيات الثقة وبناء الأمن، بما في ذلك ضبط القدرات النووية واعتماد نظام يقلل من مخاطرها، جزءاً من الأجندة المطلوبة.

وإذا أخذنا بالحسبان مدى تجاور الدولتين، فإن الوقت الذي تستغرقه رحلات القذائف الصاروخية بينهما لا يزيد على دقيقتين أو ثلاث دقائق فقط، مما

لا يدع مجالاً كافياً للإنذار المبكر حول ما إذا كان إطلاق القذائف قد تم عن طريق الخطأ، أو عن غير تخويل رسمي. وفي مثل هذه الحال، فإن الحكمة تقتضي عدم تركيب الرؤوس الحربية على القذائف الصاروخية وإبقاءها بمعزل عنها. ومهما كان الوضع، فإن التأكد من ذلك يبقى أمراً صعباً.

هنالك حديث حول جعل النظريات النووية لكل من البلدين متطابقة على نحو تبادلي، إلا أن عدم التماثل في الأسلحة التقليدية يجعل من أمر عقد اتفاق حول عدم المبادءة باستخدام السلاح النووي أمراً مشكوكاً فيه. وبذلك، فإن عقد معاهدة عدم اعتداء مشتركة بين الطرفين يشكل إجراءً أكثر ملاءمة بهذا الصدد.

إن إسهام الصين البارز في الدبلوماسية التي قادتها الولايات المتحدة لنزع فتيل المواجهة العسكرية بين الهند والباكستان في عام ٢٠٠٢ وإقناعهما بالدخول في حوار قد حظي باعتراف المجتمع الدولي.

وإن النمو الخارق للصين منذ أن فتحت اقتصادها على العالم في عام ١٩٧٨ لا يزال مستمراً بفضل ما حققته من إصلاحات إقتصادية إلى جانب التزامها الدقيق بسياسة خارجية قائمة على المبادىء الخمسة. وإن عزمها على تجنب الهيمنة، وعلى البروز بوصفها قوة رحيمة تشجع قيام نظام دولي قائم على السلام والعدل، ينسجم مع التطلعات الواسعة للشعوب في كل أرجاء العالم.

وكذلك فإن النمو الاقتصادي الذي فاق حدود المعقول قد جعل من الصين توأماً للولايات المتحدة الأمريكية التي تقود الاقتصاد العالمي في الوقت الحاضر. ولقد بلغ معدل النمو على مدى عقدين من الزمن حوالي ١٠٪. وتجاوز الناتج المحلي الإجمالي ١,٤ ترليون دولار، وزاد معدل دخل الفرد على ألف دولار. كما تم رفع مستوى ما لا يقل عن أربعمائة مليون صيني من فقر مدقع، كان دخل الفرد فيه أقل من دولار واحد في اليوم، إلى مستوى مكن هذا الحشد الهائل من البشر من المضي قدماً نحو تحقيق حقوقهم الاقتصادية والاجتماعية والثقافية. وكما قال رئيس الوزراء وين جياباو في مؤتمر شانغهاي الدولي في أيار/مايو: «إن هذا الإنجاز سيدخل التاريخ بصفته عملاً فذاً شديد الروعة».

— ٤ —

تقف الباكستان في طليعة الحرب على الإرهاب الدولي. فقط قطعت على نفسها عهداً بمنع التطرف والإرهاب من العمل فوق ترابها. وكذلك فإن الصين رمت بثقلها خلف الهجوم الدولي الذي تقوده الولايات المتحدة بهذا الصدد. ووفقاً لمعهد لندن للدراسات الاستراتيجية، فإن مجموع منتسبي تنظيم القاعدة الطليقين يصل إلى ثمانية عشر ألف رجل في ستين دولة من دول العالم. ولقد أصبح العراق بؤرة جديدة من بؤر الإرهاب.

قام الرئيس الباكستاني برويز مشرف بصياغة استراتيجية مزدوجة لمحاربة النزعة العسكرية الدينية والتطرف الديني في بعض بلدان العالم الإسلامي. وتمثل إحدى شعبتي هذه الاستراتيجية قيام الدول الإسلامية نفسها بتجنب النزعة العسكرية والتطرف، والتركيز على النهوض الاجتماعي الاقتصادي. أما الشعبة الثانية من الاستراتيجية المذكورة، فينبغي القيام بها من قبل الغرب، خاصة الولايات المتحدة. وهي تتمثل بتسوية النزاعات السياسية مع العدل للدول الإسلامية المحرومة، إذ إن السبب الرئيسي للإرهاب يكمن في ما تعانيه هذه

الدول من عدم العدالة السياسيّة. ومن بين ما يستشهد به الرئيس مشرف من أمثلة على ذلك: النضال من أجل الحريّة في كشمير، والانتفاضة في فلسطين، نتيجة الحرمان من العدالة.

ترى، هل سيفي الغرب بمتطلبات الشعبة الخاصة به من الاستراتيجية؟

يتواصل الاحتلال الإسرائيلي للأراضي العربية على مدى فترة تجاوزت ثلاثة عقود من الزمن رزحت فيها هذه الأراضي تحت نظام حكم قمعي وحشي. ويقف مثالاً على إخفاق الغرب بالإيفاء بمتطلبات ما يخصه من الاستراتيجية سالفة الذكر الإجحاف الذي يلف خطة آرئيل شارون لفك الارتباط مع غزة على حساب الفلسطينيين بمبالغة إسرائيل في ضم الأراضي الفلسطينية وتوسعها في ما يقرب من نصف أراضي الضفة الغربية.

في البوسنة، لو جاء الفرج في حينه، لا في وقت متأخر، لتم تفادي موت أناس أقل بكثير من المائتي ألف شخص الذين فقدوا حياتهم نتيجة عمليات التطهير العرقي. وفي الشيشان يتواصل الاستخدام غير المتكافيء للقوة. أما الكشميريون، الذين ضحوا بأكثر من ثمانين ألفاً من الأرواح من أجل حصولهم على الحرية، فإنهم ما زالوا ينتظرون لستة وخمسين عاماً إيفاءهم حقهم في تقرير المصير.

— ٥ —

لقد تراجعت الحروب بين الدول إلى داخل التاريخ، بيد أن الصراعات الداخلية العنيفة على شكل إبادات جماعية، وجرائم حرب، وجرائم ضد الإنسانية، فتتواصل لتشكل تحدياً خطيراً لضمير العالم المتحضر. وإن هذه الأزمات الإنسانية بالذات هي التي تُرجع النداء مدوّياً لاتقاء مثل هذه التجاوزات الكبيرة لحقوق الإنسان الأساسية وحرياته، أو منعها من قبل مجلس الأمن الدولي. كما إن نظريات الأمن المتطرفة الداعية إلى الهجوم، والاحتلال، والإطاحة بأنظمة الحكم تقتضي إعادة تقييم أساسي.

وينبغي أن يؤكد الاحتفال بالذكرى السنوية الخمسين للمبادىء الخمسة على ضرورة قيام العلاقات الدولية الحديثة على أساس هذه المبادىء وعلى حقوق الدول وواجباتها كما جاءت في ميثاق الأمم المتحدة. فكما أكد السيد كوفي أنان: «لعل العالم قد تغير، إلا أن أهداف الميثاق ما تزال صحيحة وملحة كما كانت دائماً». وإذا ما اعتبرت قواعد القانون الدولي غير ملائمة لمحاربة الإرهاب الدولي بإقدام أكبر والدعوة إلى المراجعة، فليس هناك سوى الجمعية العمومية للأمم المتحدة، التي تعكس العضوية الكونية للمجتمع الدولي، لإضفاء الشرعية على أي تشريع جديد.

وعلى الرغم من عدم توازن القوى فيما بين الغرب والعالم الثالث، فإن هذا العالم لا يمكن تهميشه في عملية صياغة النظام الدولي لما بعد الحادي عشر من أيلول / سبتمبر. وسيكون دورا الصين والاتحاد الأوروبي الموسع حاسمين في تحفيف حدة تجاوزات أحادية الجانب وسياسات القوة في العصر الحديث.

■

محورٌ خاصّ

سلسلة اللقاءات الشهرية

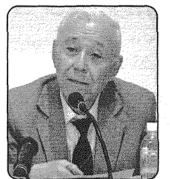
١

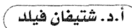
ندوة فكريّة خاصّة

العَلمانيّة في العالم العربيّ *

بالتعاون مع معهد غوته

أ.د. طيب تيزيني





أ.د. شتيفان فيلد

د. برنار روجيه



أدار الندوة الشريف فواز شرف، عضو مجلس الأمناء في المنتدى

الشريف فواز شرف:

يسرني أن أفتتح هذه الندوة التي يشارك فيها ثلاثة من أصحاب الفكر والرأي في هذا الموضوع، وهم:

١ - **أ. د. شتيفان فيلد.** وهو يحمل درجة الدكتوراة من جامعة ميونخ في ألمانيا منذ عام ١٩٦١، وقد عمل محاضراً في جامعة هايدلبرغ ما بين ١٩٦٣ - ١٩٦٧. ثم عمل مديراً للمعهد الألماني للدراسات الشرقية في بيروت ما بين ١٩٦٨-١٩٧٣. وخلال الفترة ١٩٧٤-١٩٧٧ كان أستاذاً للغة العربية والدراسات الإسلامية في جامعة أمستردام. ومنذ عام ١٩٧٧ أصبح أستاذ اللغات السامية والدراسات الإسلامية في جامعة بون.

* عقد هذا اللقاء [رقم (٢٠٠٤/٥)] في مقرّ المنتدى؛ ٢٠٠٤/٥/١٢.

٢ – **د. برنار روجيه.** وهو يحمل درجة الدكتوراة في العلوم السياسيّة من معهد الدراسات السياسيّة في باريس. وقد بحث بشكل رئيسي في الحركات الإسلاميّة في الشرق الأوسط (لبنان وسورية) على مدى السنوات الست الأخيرة. وهو يعمل الآن باحثاً رئيسياً في المعهد الفرنسي للشرق الأوسط في عمّان. كما يقوم بإعداد كتاب حول الحركات الإسلامية في مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في لبنان سيتم نشره قريباً.

٣ – **أ. د. طيب تيزيني.** وهو يحمل درجة الدكتوراة في الفلسفة وشهادة الأستاذية في العلوم الفلسفية من ألمانيا، ويعمل أستاذاً للفلسفة في جامعة دمشق. وقد وضع عدة مؤلفات منها:

- مشروع رؤية جديدة للفكر العربي الوسيط
- من التراث إلى الثورة
- مقدمات أولية في الإسلام المحمدي الباكر
- من الاستشراق الغربي إلى الاستغراب المغربي: بحث في القراءة الجابرية للفكر العربي
- فصول في الفكر السياسي العربي المعاصر
- النص القرآني أمام إشكالية البنية والقراءة
- في السجال الفكري
- من اللاهوت إلى الفلسفة العربية
- بيان في النهضة والتنوير العربي.

لدينا اليوم في هذه الندوة الفكرية التي يعقدها منتدى الفكر العربي مجموعة من الأساتذة الكرام، إضافة إلى السادة المحاضرين، يحملون أفكاراً متخصصة في موضوعها الذي يدور حول العَلمانية في العالم العربيّ.

سيبدأ الأساتذة المحاضرون بالحديث. ثم بصفتي المسؤول عن إدارة الندوة سأفتح مجال المناقشة لأكبر عدد ممكن من السادة الحضور ضيوف المنتدى. وأود أن أبدأ بمقدمة بسيطة أبين فيها أن موضوع العَلمانية في الوطن العربي هو موضوع مهم جداً وحساس. وفي رأيي أنه لا يوجد إنسان عربي أو مسلم لا يتأثر اليوم وفي المستقبل بهذا الموضوع لأن العلمانية في العالم العربي تواجه تساؤلات كثيرة من الحدود الإسلامية القصوى في المشرق، بما فيها أفغانستان، إلى الحدود الإسلامية في المغرب العربي، مرورا بالمشرق العربي، من خلال ما نشاهد ونسمع ونقرأ ونعيش. فهذا الموضوع يشكل في اعتقادي أساساً مهماً وحساساً لبحث حاضر الأفراد والشعوب والحضارة في العالم العربي الإسلامي ومستقبلهم.

أقدم الآن أ. د. شتيفان فيلد.

أ. د. شتيفان فيلد:

قبل كل شيء أود أن أشكر السيد وسام الزهاوي، الأمين العام لمنتدى الفكر العربي، ومدير معهد جوته، اللذين اشتركا في تنظيم هذه الندوة المهمة. كما أشكر الزميل د.برنار روجيه وأ.د. طيب تيزيني وصاحب المعالي الشريف فواز شرف، رئيس هذه الندوة، على اشتراكهم فيها.

تثير مسألة الدولة العلمانية في العالم العربي الكثير من الجدل، حيث تعتبر العَلمنة والعَلمانية من المواضيع الساخنة التي يقال ويكتب حولها الكثير بقدر ما يتم حول مشكلات مثل الحداثة والتطوير والتطور، والحرية والعَولمة.

وما عسى أن يساهم مراقب من الخارج بما هو معروف من هذه المناقشات؟ بالتأكيد لن يكون قادرا على تقديم حل لهذه المشكلات أو لأية واحدة منها. وكذلك سيكون تقديمه لاستشارة تتعلق بكيفية وجوب العلاقة بين المواطنين والشرّع في الدول العربية هو أمر أكبر بكثير من قدرته. فهو يمكنه فقط أن يأمل بأن النظرة من الخارج التي



يقدمها هو، والتي يعتبرها نظرة روحية، يمكن أن تساعد في هذه المناقشة الحساسة والمهمة.

لدي بعض الملاحظات حول تطور الأفكار العربية فيما يتعلق بالعلمانية في العالم العربي. وسوف أقتصر هنا في هذا البحث على بعض الأسماء القليلة من ناقدي العلمانية العرب الحديثين، وأفترض أنكم تعرفونهم أكثر مني وأحسن مني.

إن المؤهلات الأوروبية لتطور ذاتي للعَلمانية كمؤسسة بنيت على شروط اجتماعية واقتصادية وتاريخية، في حين لم تكن موجودة في محيط الدول العربية. لكن الدولة والدين لم يكونا هنا أيضا الشيء ذاته، ولم تكن شرعية السلطة السياسية في العالم العربي منذ الأمويين محصورة في المجال الديني فقط، حيث كانت السلطة السياسية، بما فيها الأكثر، تستعين دوما برموز دينية، سواء في العالم العربي أو العالم الإسلامي، أو العالمين غير العربي وغير الإسلامي.

في بادئ الأمر كان المصطلح عربيا مسيحيا لتمييز الإنسان العلماني من القسيس أو الراهب. ومصطلح عالمي يعني نفس ما يعنيه تقريبا مصطلح دنيوي. ولم يجد البعض ارتباطا بين هذه الكلمة وكلمة العلم. وقد رأى الكثير من المثقفين والمفكرين العرب لفترة طويلة أن كلمة علمانية مرادفة لكلمة لا دينية. والسبب لهذه الترجمة الخاطئة يكمن في أن كمال أتاتورك بعد انهيار المملكة العثمانية بنى أيديولوجيته على العلمانية، الكلمة التي تمت ترجمتها إلى التركية بشكل خاطئ بعبارة لا دين لك، التي ترجمت بدورها إلى العربية بعبارة لا دينية. وأظن أن الكثير من المثقفين والمفكرين العرب يخافون، إلى وقتنا هذا، من أن العلمانية والإلحاد هما شيء واحد. وهذا حسب رأيي خطأ.

يخلط بعض المفكرين العرب بين العلمانية الجزئية المعتدلة المقبولة وبين العلمانية المتطرفة الشاملة غير المقبولة. وسوف أعود لهذه المشكلة مرة ثانية إذا سمح الوقت.

تمت في العالم العربي حسب رأيي تصورات علمانية تنقسم بشكل رئيسي - كما أرى- إلى مجموعتين: المسيحيون العرب وأكثرهم من القوميين، ومعتنقوا اليسار العربي. وتتداخل المجموعتان إلى حدٍ ما، الواحدة منهما في الأخرى، ولكنهما لا تتماهيان.

أولا: المسيحيون العرب. كان الدافع الرئيسي لهذه المجموعة - حسب رأيي - هو التوق إلى حياة مشتركة تسودها المساواة الكاملة في الحقوق بين المجموعات الدينية كلها في المملكة العثمانية. وينتمي كل من فرح أنطون وجورجي زيدان ويعقوب سلعوس إلى تلك الشخصيات المعروفة التي رأت أن التجديد والعلمانية وجهان لعملة واحدة. وكانوا يتساءلون فيما إذا كانت الذمة في الشريعة تعني فعلا المساواة التامة في الحقوق بين جميع مواطني المملكة العثمانية. ومن المعروف أنه عندما كان أحد رعايا الإمبراطورية العثمانية يريد أن ينتمي إلى النخبة الحاكمة، فعليه أولا: أن يتقن اللغة العثمانية، وثانيا: أن يكون مسلما سنياً. ومن الطبيعي أن العرب المسيحيين الذين مثلوا التصورات العلمانية كانوا متأثرين بالأفكار

الأوروبية، ولم يكونوا يهتمون أبدا بإلغاء الدين بطبيعة الحال، بل كان اهتمامهم بأن يتمكن المنتمون إلى الأديان المختلفة من أن يعيشوا في الدولة متمتعين بمساواة تامة في الحقوق السياسية.

الفئة الثانية هم اليساريون العرب من الاشتراكيين والشيوعيين في أواخر القرن التاسع عشر والقسم الأكبر من القرن العشرين الذين حاولوا أن يجعلوا من الدين مسألة شخصية. كان طه حسين وأحمد لطفي السيد وسلامة موسى ومحمد حسين هيكل في مصر رواد هذه المجموعة التي اختلفوا على تسميتها، تارة يسارية، وأخرى ليبرالية، وثالثة تسميات أخرى. ويستطيع المرء أن يخمن أن شخصية طه حسين كانت تجد في العلمانية المعتدلة ضمانا أمثل لحرية البحث العلمي. ولم تطلب هذه الشخصيات إلغاء الدين أبداً.

أما بالنسبة لأولئك الذين ظهروا اليوم أو كان لهم حتى الأمس صلة بالأحزاب السياسية اليسارية ونادوا بأفكار علمانية، فغالبا ما يجدون المؤازرة لدى الأقليات الدينية من المسيحيين واليهود، وأيضا لدى الشيعة في الدول التي يحكمها الإسلام السنة.

كذلك هنا لم يكن الهدف إلغاء الدين. وقد نجد لدى الممثلين التقليديين للمادية الجدلية مفكرين عرب يتوقعون زوالاً تدريجياً للدين. وكما أعرف فهذا لم يحدث. وهناك في الوقت الراهن ممثلون للأفكار العَلمانية أذكر منهم على سبيل المثال صادق جلال العظم وفؤاد زكريا ومحمود درويش وأدونيس وعزمي بشارة والأنصاري. وبلا شك، فهذه الأسماء كلها مهمة في عالم المفكرين العرب الحالي، لكنهم لا يمثلون، حسب رأيي، المفكرين العرب. وقد أصبح الكثير من هؤلاء اليساريين بدون وطن روحي بعد انهيار الاتحاد السوفييتي وتقهقر الأيديولوجية الاشتراكية في العالم العربي وخارجه. وفقد البعض الآخر منهم الجرأة على التعبير الحر عن مواقفهم بعد الموت المأساوي لفرج فودة سنة ١٩٩٢.

إن إحدى أهم المساهمات في نقض النظريات التقليدية للسلطة الإسلامية كانت لعلي عبد الرازق المتوفى في سنة ١٩٦٣، وهي «الإسلام وأصول الحكم: بحث في الخلافة والحكومة في الإسلام». نشر هذا الكتاب في القاهرة عام ١٩٢٥. وهو لا يزال يدحض باستمرار حتى يومنا هذا. ويكمن نقده الرئيسي في أنه لم يكن في زمن النبي ﷺ أية أفكار لنظام إسلامي سياسي إطلاقا، إذ لم يكن تأسيس دولة جزأ من اهتماماته. هذه نظرة لا تصلح، حسب رأيي ورأي الكثيرين. لكن علي عبد الرازق كان مصيبا في طرحه الثاني، إذ قال إنه لم تكن الخلافة جزأ لا يتجزأ من النظام الإسلامي السياسي. وقد صدر الكتاب في القاهرة بعد سنتين من إلغاء الخلافة من قبل كمال أتاتورك. إذاً فقد عبّر علي عبد الرازق عن نظريته هذه فقط بعد إلغاء الخلافة عمليا. وأظن أن الكثير من المفكرين العرب يعترفون بأن المسلمين عاشوا من دون خلافة لأكثر من ثمانين عاماً. وكذلك لم تنجح جميع المحاولات والمؤتمرات الإسلامية حتى الآن في إحياء الخلافة ثانية. ويبدو حالياً أنه من غير الممكن أن تتوحد الأمة الإسلامية على خليفة ما، رغم المحاولات الكثيرة. وقد يقول بعض المفكرين إن خلافة مثل خلافة السلطان العثماني لن تكون مرغوباً فيها. وإنهم بالأحرى يفضلون ما يشبه البرلمان الإسلامي، أو مؤتمراً إسلامياً، أو شيئاً من هذا القبيل.

وقدم عبد الوهاب المسيري نقدا للعَلمانية على مستوى عال. فقد نقد الخطاب العلماني في مؤلفه المكون من أربعة مجلدات بعنوان «تفكيك الخطاب العلماني». ويميز عبد الوهاب المسيري بين عَلمانية معتدلة جزئيا وعلمانية متطرفة شاملة. ثم يقول بعد ذلك: أينما يستعمل المرء مصطلح عَلماني، فإنه غالبا ما يقصد العَلمانية الجزئية. ويمكن لهذه العَلمانية المحدودة والجزئية أن تتعايش مع

قيم أخلاقية مطلقة، وحتى مع قيم دينية، طالما أن هذه القيم لا تتدخل في العملية السياسية بالمعنى المحدود للكلمة. وهو يقول أيضاً: كثير من المفكرين الدينيين، مسيحيين كانوا أم مسلمين، مستعدون لأن يتعايشوا ويتعاونوا مع هذا النوع من العَلمانية، بل إن بعضهم يرحبون بهذه العَلمانية الجزئية لأنها سوف تحرر الدين من البرغماتية المهدمة، ومن السياسة اليومية للعالم الثالث، ومن العوامل الاقتصادية.

إن السؤال المهم الذي كان المفكرون العرب ولا يزالون يطرحونه على أنفسهم يتعلق بماهية وضع الدول الوطنية الحالية بالنسبة للعلمانية، والإسلام فيها دين الدولة الرسمي.

بالنسبة للموقف المنبثق عن جماعة الإخوان المسلمين، مثل سيد قطب، لم يكن هنالك أي مجال للشك بأنه وصف غالبية المجتمعات الإسلامية تقريبا، أو جميعها، بأنها جاهلية. ويمكن للمرء في هذه الحالة أن يترجم كلمة جاهلي بكلمة علماني تماما. ويوافق برويز منصور، وهو عالم من أصل هندي باكستاني، سيد قطب إلى حد كبير ويقول: على عكس ما تكون الخطابة شعبية، تسير عَلمنة المجتمعات الإسلامية على قدم وساق. ويقول أيضا: إن السبب الأهم الذي يمنع الوحدة المرغوبة، حقيقة أو وهما، بين المجال العلماني والمجال الديني هو قيام طبقة دينية أشبه ما تكون بـ «الإكليروس» الإسلامي لم تكن موجودة حتى الآن. وأظن أن هذا التطور المسؤول من قبل الأستاذ منصور يلاحظ بشكل كامل في الجمهورية الإسلامية الإيرانية، حيث تحول علماؤها الدينيون إلى رجال سياسة.

في بلدان غير عربية نجد المرحلة الأولى مختلفة تماما. فإندونيسيا تعتبر نفسها حتى اليوم أمة إسلامية في دولة علمانية، حيث يصل عدد سكانها إلى حوالي ١٧٠ مليون نسمة تبلغ نسبة المسلمين منهم تقريبا ٨٥٪، وهي بذلك أكبر دولة إسلامية من حيث عدد السكان.

إن مشكلة الأقليات المسلمة في دول غالبيتها غير مسلمة هي مشكلة أخرى. وربما يصبح من الواضح أن الكثير من هؤلاء المسلمين يفضلون العيش في دولة علمانية على العيش في دولة دينها الرسمي ليس الإسلام، بل دين آخر.

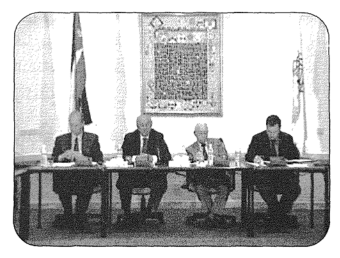
على الإجمال، يعتبر مفهوم العَلمنة الشاملة والعَلمنة المعتدلة اليوم، حسب اعتقادي، غير مقبول لدى الغالبية العظمى في العالم العربي. وأنا لا أقصد هنا المثقفين، بل أفراد الشعب. فهو، صوابا أو خطأ، يماها بالاستعمار، وينظر إليه كأنه استسلام أمام قيم غربية لا إسلامية، ويبدو أنه خطر على الهوية الذاتية.

وشكراً.

الشريف فواز شرف:
شكرا للأستاذ الدكتور شتيفان فيلد.
والآن د. برنار روجيه.

د. برنار روجيه:

شكرا لسيادة الرئيس. أنا مسرور جدا بوجودي بينكم، وأعتذر سلفا عن الأخطاء اللغوية التي سوف أرتكبها. فلسوء الحظ أنا لا أتحدث العربية بطلاقة. لكن إن شاء الله سأدبر الأمر.



أولا، أريد أن أقول بعض الملاحظات حول الموضوع. من الصعب كثيرا أن نعطي تعريفاً واضحاً للعلمانية لأنه لا يوجد عَلمانية واحدة، بل عَلمانيات متعددة، حيث يوجد النموذج الفرنسي للعَلمانية، وهي علمانية شبه مطلقة، وهناك النموذج الألماني، والنموذج الإنجليزي والأمريكي، إلى آخره. هذه الملاحظة الأولى لمفهوم العَلمانية.

ثانيا، نشاهد في كل مجتمع، والمجتمع العربي أيضا، صراعاً على المعنى بين فئات اجتماعية مختلفة. وهذا شيء طبيعي، ويحصل في كل مجتمع: في المجتمع الفرنسي، وفي المجتمع الأردني، وفي المجتمع العربي، إلى آخره.

فاستنكار العلمانية يستخدم من فئة معينة ضد جهة أخرى كأنه وسيلة لتخويف بعض المثقفين، ويمكن أن تكونوا أنتم منهم. ويمكن أن يكون التخويف وسيلة للسيطرة على المعنى في البداية، والسيطرة على السلطة بعد ذلك. إن الصراع موجود في كل مجتمع، حتى في المجتمع السعودي مثلا. وقد قرأت في جريدة الأمس أن مجلس الشورى قرر منح الجنسية لأي شخص مقيم في المملكة منذ عشر سنين. وهذا القرار ليس له علاقة بالدين، أو بالمرجعية الدينية أو المؤسسات الوهابية. ويدل هذا بشكل واضح على أن هنالك مجالات للقرارات غير مرتبطة بالدين على الإطلاق، حتى في المملكة السعودية، الدولة الوهابية غير العلمانية. كما يدل هذا على أنه يوجد في كل مجتمع صراع على السلطة، وصراع على المعاني الاجتماعية. وهذا مهم جداً، والمجتمع العربي ليس استثناء في هذا الإطار.

والملاحظة الثالثة تتعلق بالربط بين العلمانية والدين. هناك الكثير من المثقفين في العالم العربي وفي فرنسا وأوروبا يربطون العَلمانية بالدين، وكأن هنالك أدياناً تسمح للعلمانية بفصل المجالات بين الدين والسياسة، في حين أن هنالك أدياناً أخرى تمنع هذا الفصل في المجالات بين الدين والسياسة. وهذه رؤية في رأيي خطيرة لأن العَلمانية في فرنسا وفي أوروبا الغربية ناتجة عن تطورات تاريخية، عن الصدفة، إذ كان هنالك صراع بين البابا والدولة الفرنسية والدولة البريطانية، وكان يوجد دولة بين مؤسستين. ووجود الدولة بين مؤسستين أفسح المجال لقرار سياسي مستقل في نهاية القرون الوسطى. فليس هذا الفصل مرتبطاً بالدين بالذات، بل بتطورات التاريخ وصدفة التاريخ والسياسة ... إلى آخره. هذا مهم جداً وممكن لهذه الدولة الحديثة التي نشأت في نهاية القرون الوسطى كرابح للصراع مع البابا ومع الكنيسة الكاثوليكية. ويعود هذا، وأعيد مرة أخرى، لتطورات التاريخ، وليس لمضمون النص الديني. وهذا الشيء مهم جداً، ويجب أن نخاف من شيء يسمى «كونترليزم» باللغة الانجليزية يتعلق بأن كل شيء يعود إلى الدين، أو إلى الثقافة، وهذا غير صحيح في رأيي.

كذلك ليس من اللازم أن نساوي بين العلمانية والمسيحية، حيث كانت العلمانية، خاصة في فرنسا، ضد الكنيسة الكاثوليكية. لكن فرنسا تمثل استثناء، وهي البلد الوحيد الذي كان فيه خلال الثورة الفرنسية صراع حربي بين الكنيسة الكاثوليكية والحكومة الثورية، والصراع لم يحدث في المجتمعات الأخرى. والعلمانية لا تعني الإلحاد، كما يحاول بعض الناس الاقناع بذلك.

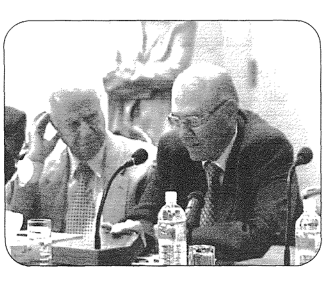
الملاحظة الرابعة ليس هنالك حرب حضارات ولا حوار حضارات، لماذا؟ لأنني شخصيا لم أشاهد الحضارة الإسلامية، ولم أشاهد الحضارة الغربية ولم ألتق معها ولو مرة واحدة، حيث لم أشاهد شخصاً لأقول له: مرحبا أنا أمثل الحضارة الإسلامية، وأنت؟ أنا أمثل الحضارة الغربية، تفضل. هذا يعني أن الحضارة مهمة معقدة صعبة التبسيط ، ولا يوجد أحد يحتكر حضارة ما. ولا أستطيع أن أتكلم باسم حضارة. فهذا الشيء ممنوع

وخطير. ويجب أن نكافح هذه الظاهرة، حيث لا يوجد أحد يستطيع أن يتحدث باسم أية حضارة. فالحضارة تراث، نموذج، فيها الكثير من الأشياء، حيث تجد فيها كل ما تريد. ولا يوجد فيها أي معنى معين نابع من أية حضارة. وهذا شيء مهم جداً، لأن فيه نوعاً من الابتزاز في المجتمع العربيّ. فأنا أمثل القيم الإسلامية، وأنت بالتالي خارج هذه القيم. وهذا نوع من الابتزاز، من الإرهاب النفسي، وأحيانا يحول إلى الإرهاب والعنف... كانت تلك بعض الملاحظات المهمة.

فالسؤال الآن: لماذا العلمانية غير محبوبة في العالم العربي حاليا؟ ولماذا الصورة السلبية لهذا المفهوم عند الكثير من الناس؟ وفي رأيي أن هنالك أسباباً كثيرة يتمثل أولها وأهمها بكأن كثيراً من الناس في المجتمع الإسلامي بشكل عام، وفي المجتمع العربي بشكل خاص، يستعملون الإسلام وسيلة لمكافحة الغرب. وهذا يعني، بعد ثلاث حروب وهزائم مستمرة، كأن الرمز الديني صار وسيلة لمكافحة الغرب. فالغربيون يخافون من الحجاب، ويخافون من اللحية. أما أنا، فأرتدي الحجاب وأطلق اللحية ... إلى آخره. وكأن الصراع قد تحوّل من الأرض إلى الثقافة. وهذا التحوّل له أسباب سياسية وليست دينية. وأصبح الدين يستعمل بالمعنى السياسي نتيجة للإذلال واحتلال فلسطين والعراق، والهزيمة العسكرية، خاصة هزيمة ١٩٦٧. وكأنه أصبح لزاماً علينا أن نغير المنهج فنجرب الإسلام وسيلة ضد الغرب. وكأنه لا يمكن فعل أي شيء على المستوى العسكري، فلنغير الوسائل في الكفاح ضد الغرب. وفي رأيي أن التحويل من السياسة إلى الثقافة خطير جدا، خاصة على الإنتلجنسيا العربية وعلى المثقفين العرب، لكنه موجود في العالم العربي.

كذلك من أسباب فشل المنهج العلماني أنه خلال القرن العشرين نسي الكثير من العلمانيين الديمقراطية، ولم يمارسوها ولم يكونوا ديمقراطيين. كان هنالك فصل بين العلمانية والديمقراطية. والفصل كان خطيراً جداً على مفهوم العلمانية، وكأن تجربة البعث في سوريا وفي العراق لم تكن تجربة ديمقراطية، وكانت النتيجة سيئة جدا بالنسبة للنموذج العلماني، أو ما يسمى بالعلمانية. وقد أخذ الثوريون في العراق من العلمانية أسوأها.

وأضيف إلى هذه الظاهرة أن العلمانية لم تكن ديمقراطية ولم تكن صحيحة. فكان خلف المنهج العلماني عصبية طائفية معينة، وكان ممارسوها يستعملون القومية



العربية كلاماً عاماً يكفي للسيطرة على المجتمع. ولا أريد أن أكون أوضح من اللازم.

إن الصورة السلبية للعلمانية يمكن أن تتسبب عما سبق من عدم الالتزام الديمقراطي نتيجة الحروب والهزائم ضد الدولة الإسرائيلية، وصيغ الكفاح ضد الغرب، وتحويل الصراع من السياسة إلى الثقافة.

وهنا أريد أن أؤكد أمراً، يمكن بالأحرى أن يوجه إلى الجمهور الغربي، وهو أن العالم العربي والعالم الشرقي كان أكثر علمانية في القرن التاسع عشر منه في الوقت الحاضر. فكانت هناك تنظيمات ومدارس. وكان شيخ الإسلام، مثلا، قد نحي عن ارتباطه المباشر بالحكم وبشخص السلطان من خلال تلك التنظيمات، وكان

هناك مدارس ذات علوم علمانية حديثة، وكان صراع ومعارضة من قبل رجال الدين، كما كان هناك أيضا كثير من رجال الدين يؤيدون التنظيمات. وأنا أستشهد بالأستاذ عزيز عظمة في كتابه المشهور «العلمانية من منظور مختلف»، حيث بين أنه في نهاية القرن التاسع عشر كان هناك الكثير من رجال الدين يؤيدون المنهاج الحديث، ودعوني أقول المنهاج العلماني والليبرالي، إلى حدّ كبير.

من المهم جدا بالنسبة للعرب، خاصة الشباب، أن يرجعوا إلى التراث والنهضة. فلم تكن النهضة في رأيي تقليداً للغرب. وكان هناك وطنيون يدافعون عن العصر في تلك الفترة، ويأخذون من الغرب الشيء المفيد من أجل أن يكونوا أقوى على المستوى العسكري وعلى المستوى الثقافي، إلى آخره. فليس هناك تقليد أعمى، بل محاولة للتكيف مع الحداثة، وهذا الشيء في رأيي مهم جداً.

لا أريد أن أحتكر الوقت، ويجب أن أترك المجال للنقاش والحوار. فقط كلمات حول قانون حظر الحجاب في فرنسا، إذ إني أعرف أن القضية أثارت الكثير من النقاش. أريد فقط أن أقول إنني لست مسؤولاً عن الحكومة، فأنا باحث مستقل تماما. وأريد أن أشرح شيئاً مهماً هو أن السياق في فرنسا منذ خمس سنوات صار مختلفاً عما كان عليه قبل عشر سنوات. بمعنى أنه نشأت هنالك حرب طائفية في المدارس. فبعض الطالبات وبعض البنات يرفضن تعلُّم البيولوجيا وحضور محاضرات الرياضة، وكأنهن يرفضن ذلك بحجة الإسلام. فكان هدف القانون ليس الحجاب ذاته، بل كل الأشياء التي تأتي مع الحجاب، ومنها رفض حضور بعض المحاضرات. وكذلك في المستشفيات كان الكثير من الرجال يرفضون فحص زوجاتهم من قبل الأطباء، وكانوا يجيبون عن الأسئلة بدلاً منهن. لذلك كان لا بد من ظهور رد فعل، وربما كان رد الفعل هذا غير مناسب. لكن من أجل أن يفهم الجميع، أصبح لزاماً أن نؤكد قيام العيش المشترك في المجتمع الفرنسي، وكيف نستطيع أن نعيش مع بعضنا البعض. والسؤال المطروح حالياً في المجتمع الفرنسي بسبب العولمة، والمطروح بشكل عام، هو: كيف أستطيع أن أحترم الآخر دون أن أتخلى عن هويتي وعن نفسيتي؟

إن الحوار تجربة صعبة جدا، وهو مغامرة وجودية وليس حواراً شكلياً. فإذا رفضنا الحوار الشكلي، لا بد أن يكون الحوار تجربة وجودية، ولا بد أن أكون مختلفا عما كنت عليه في بداية هذا الحوار، وقبل أن يحصل الحوار.

وشكرا جزيلا.

الشريف فوّاز شرف : شكرا للدكتور برنار روجيه. أقدم الآن أ.د. طيب تيزيني.

أ.د. طيب تيزيني:

أيها الحضور الكرام، أشكر القائمين على هذه المؤسسة التي تتيح لنا نحن العرب عموما، ولأصدقائنا الغربيين، أن نتشاور في مسائل لعلها أصبحت على حد السيف .

نحن نناقش هذه المسائل النظرية في حالة لا تسمح لنا بأن ننتج معرفيا على نحو مناسب. ذلك لأن القبضة التي نعيش تحتها الآن لا تتيح لنا مثل هذا الموقف. ومع ذلك نحاول أن نكون متوافقين مع شروط البحث العلمي عبر الاستجابة إلى ما علينا أن ننجزه في مرحلة عربية وإسلامية صعبة. ولعلي أشير إلى أننا نحن هنا في الوطن العربي وفي العالم الإسلامي نعيش حالة قد نسميها «الحطام العربي الإسلامي». هذا الحطام الذي هو مع ذلك ما يزال مفتوحا، أي قابلا لأن ينتج شيئاً ما، لكن

بشرط أن نصفي أمورنا مع مثل هذه المسائل التي نعالجها اليوم.

مسألة العلمانية كانت وما تزال مسألة مُشكلة في الفكر العربي السياسي والفلسفي، ومشكلة ليس لأنها بذاتها تنتج هذا الإشكال، وإنما لأن هناك أيضا من يسعى إلى إبقائها مُشكلة. ولهذا سأشير إلى بعض النقاط التي يمكن أن تضع يدنا على مواضع الإشكال الذي نعيشه في الفكر العربي السياسي والفلسفي، إضافة إلى الفكر الإسلامي.



أولا، مسألة العلمانية ما تزال تناقش بحدة من الإسلاميين ومن غيرهم مع عملية إقصاء واضحة لمجموعة من المفاهيم في التاريخ العربي الإسلامي، التي لو استعيدت بصورة دقيقة، لأبعدت الكثير من الأخطاء والالتباسات التي يقعون فيها. من ذلك أن التاريخ الإسلامي يقدم ربما واحدة من أهم بواكير التجارب في العالم على صعيد العلمانية. ولعلي هنا لا أستخدم مفهوم العلمانية لأن المفهوم أتى لاحقا بعد نشوء الظاهرة. أشير فقط إلى ما حدث في مكة حينما دخل الرسول ﷺ وأراد أن يؤسس حالة جديدة، فاجتمع معه الجميع من المسلمين والنصارى واليهود والصابئة وغير ذلك، واتفقوا على دستور للمدينة يجمع بينهم كلهم، يجمع بين كل هذه الأنساق الاجتماعية والدينية المختلفة. وتوصلوا في نهاية المطاف إلى الإقرار بأن كل فئة دينية لها مرجعيتها التشريعية، لكنها بوصفها مجموعات تشترك في مسائل أساسية كبرى، فإنما مرجعيتها الدولة، أي دولة لا تنطلق من المرجعيات التشريعية الدينية، وإنما تنطلق من مرجعياتها الخاصة.

هذه تجربة مهمة جداً لم يكتب عنها إلا القليل، خصوصا في أوساط الإسلاميين الذين في معظمهم تحاشوها وأبعدوها عن البحث، وألحّوا على أن مثل هذه التجربة التي يتحدث عنها باسم العلمانية هي تجربة غريبة عن الفكر العربي والإسلامي.

هنالك أمر آخر هو أن النص الديني في صيغتيه القرآنية والحديثية يؤكد على ما يمكن أن نعلن أنه حالة من حالات العلمانية. فالقرآن الكريم يخاطب النبي ﷺ : ﴿**لست عليهم بمصيطر**﴾. وهذه مقولة واضحة في العلوم السياسية: السيطرة، الهيمنة، الغلبة، غائبة، غائبة دينيا. إذاً ما الموجود هنا؟ إنها الغلبة المدنية. هذه مسألة ذات أهمية كبرى أيضا أطيح بها.

إضافة إلى ذلك، يجري تداول حديث نبوي شهير بصورة واسعة دون أن تشتق منه النتائج الضرورية، المنطقية والسياسية. وهذا الحديث الذي يعلن أن النبي ﷺ كان قد عمل على مساعدة بعض من يشتغل بتأبير النحل فأخطأ حين قال: «دعوا الأمر إلى العام القادم». وحينما فاتحوه ثانية قالوا: إن ما قلته لم يكن صحيحاً، قال: «أنتم أعلم بشؤون دنياكم». لاحظوا هنا مفهوم دنياكم، الدنيا، هذا المفهوم الذي سنلاحظ لاحقا في العصور الحديثة أن العلمانية كمفهوم ليست بعيدة عن مفهوم الدنيوة والدنيا: «أنتم أعلم بشؤون دنياكم».

ثالثا، هنالك تجارب في الفكر الإسلامي نفسه برزت ودللت على إمكانية قراءة الإسلام قراءة علمانية، خصوصا تلك التجارب الثلاث: الأولى التي تتمثل

بالمناظرة المهمة التي دارت بين الإمام محمد عبده والمفكر النهضوي فرح أنطون، والثانية ما قدمه المفكر عبد الحميد الزهراوي من الإسلاميين السوريين، والثالثة ما قدمه علي عبد الرازق من مصر.

هذه التجارب تدلل على احتمال أن تقرأ النصوص الدينية الإسلامية قراءة علمانية. وقد استطاع هؤلاء فعلا أن يقدموا أدلة ذات أهمية خاصة. ومع ذلك نقول: إن العلمانية في الفكر العربي وفي الحياة العربية الإسلامية العامة واجهت التباسات متعددة أخرى. ومن ذلك أن مفهوم العلمانية أتى من الغرب، أتى من الغرب في حال كان الغرب غازيا. إن العلاقة الوثيقة هنا بين الغزاة والعلمانية اقترنت بحيث أنها أخذت تبدو وكأنها تماها فيها الطرفان الأساسيان، العلمانية والغزو. هذا التباس كبير لم يحلل إلا ضئيلا، ولم يفكر فيه إلا قليلا في الفكر العربي السياسي. الغزو والعلمانية إذاً كلاهما يمثل وجهاً لمسألة واحدة، ومن ثم فنحن في حل من العلمانية الغازية.

وهنالك أيضاً أمر آخر يتمثل باللغة. فهنالك في اللغة العربية اشتقاق لغوي ما زال حتى الآن غير محسوم، اشتقاق يفصح عن نفسه بصيغة سؤالين: هل العلمانية من العِلم؟ أم هي من العالَم؟ هل العلمانية شأن ديني؟ أم هي شأن دنيوي؟ والشق الأول يشير إلى أن المسألة لم تحسم لأن هنالك حواراً واسعاً بين المثقفين والمفكرين والباحثين العرب والإسلاميين لم يصلوا فيه بعد إلى القول بأن العَلمانية تشتق من العِلم أم من العالَم. ومن اشتق العلمانية من العِلم قال: إن العِلم إذاً يؤدي إلى الإلحاد، في حين أن من قال إن العَلمانية في اللغة العربية تشتق من العالَم، ومن ثم من العلمنة، فقد وضع خطاً فاصلاً بين الإلحاد والعلمانية. والمسألة ما تزال قائمة من موقع أن العلمانية لا بد من ضبطها لغويا. ولذلك هكذا ظهر الأمر، في ظني، وبدت العلمانية بوصفها تحديدا لغويا للفظة العَلمانية وليس العِلمانية، وهذا خطأ شائع في اللغة العربية.

التباس ثالث، التجربة الكمالية التي أتت بوصفها تجربة غير ناضجة على الأقل في حدودها الأولى، في بواكيرها الأولى. أتت بوصفها تجربة غير ناضجة، وغير مكتملة بالمعنى المعرفي، فأثارت اهتماما بالغا شيئا فشيئا، حتى أدى هذا الاهتمام إلى نفور من العَلمانية، خصوصا أن العرب كانوا جزءا لا يتجزأ من السلطنة العثمانية، مما يعني أنهم تأثروا مباشرة وكانوا معنيين بها، كانوا معنيين بهذه التجربة.

التباس رابع، ظهور العلمانية بوصفها مفهوما مضطربا في أوساط اليسار العربي. كان يعتقد أن التقدمية في بعض أوساط اليسار العربي لا بد من أن تقترن بالإلحاد، برفض الدين. وقد استند كثير من هؤلاء اليساريين إلى ماركس، الذي راح يترجم بشكل أو بآخر، في مقولته الشهيرة «الدين أفيون الشعوب». وللطرافة المدوية المفاجئة تبين أن هذه المقولة ليست لماركس، وإنما لـ(كانْت) الفيلسوف الألماني الشهير. لكن ماركس أراد أن يقول بهذه المقولة لتوظيف النظرية الوظيفية في الدين، أي أن ماركس لم يطرح أسئلة ميتافيزيقية، وإنما طرح أسئلة وظيفية متصلة بالدين. هذا ما يجعل جمعا من اليساريين العرب الآن يقفون مشدوهين كيف مرت عليهم هذه المسألة حين اعتقدوا أن مرجعيتهم، وهي ماركسية، كانت تأخذ بالدين نفسه. هذا التباس كبير شاع كثيرا وأسهم في بلورة هذا الالتباس بعمق وتعميم كبير.

التباس خامس، ظهر في أوساط الإسلاميين، وتحديدا في أوساط الأصوليين، الذين لم يقرأوا الإسلام إلا كما أرادوه هم، أي قرأوه إسلاميا، انطلاقا من مبدأ شهير لهم قد نصوغه على النحو الآتي: «الأسلاف لم يتركوا شيئا للأخلاف»، أي أن أسلافنا اكتشفوا الحقيقة المطلقة، ومن ثم فنحن الأخلاف إذا ما واجهتنا مشكلات

معاصرة، ما علينا إلا أن نعود إلى أسلافنا كي نستمد منهم الأجوبة، بل وكذلك الأسئلة.

ومن طبيعة القول بأن هنالك حقائق مطلقة أن يُنفى الحديث عن علَمانية وديمقراطية وغير ذلك. ولذلك كان من طبائع الأمور أن يقع الأصوليون في هذه النتيجة، وهي أن العلَمانية تنافي الدين، أي الحقائق المطلقة. العلَمانية التي تؤكد على نسبية الحقيقة والمعرفة إذاً تصبح غير واردة بالنسبة للفكر الديني. ذلك بالإضافة إلى أن مجموعة من المنظرين الإسلاميين صاغوا مفهوم الجاهلية وجعلوه متماهياً مع مفهوم العَلمانية، ومنهم سيد قطب الذي تحدث عن جاهليتين: جاهلية ما قبل الإسلام، أي الجاهلية الأولى، ثم جاهلية القرن العشرين. وبعد ذلك أن الجاهلية موجودة دائما، أما صيغها فتختلف. ففي القرن العشرين تتمثل صيغتها بالعلمانية، كما أرادها سيد قطب أن تكون.

الآن في إطار هذه العملية، نلاحظ أن قضية العَلمانية أصبحت مسألة مركبة، لم تعد تعني ما تعنيه هي ذاتها فحسب، وإنما تحولت إلى مسألة مركبة، أو مسألة تخومية توجد على تخوم كل المشكلات السياسية والثقافية والأخلاقية والاقتصادية. ومن ثم كان هذا بمثابة تأكيد من قبل الأصوليين الإسلاميين على أن هذه الدولة يجب أن تزال أساسا بما أن العلمانية لم تعد تعني شيئاً موجودا في حقل سياسي بعينه فحسب، وإنما أصبحت حالة عامة. إذاً هذه الدولة دولة خارجية، دولة خارج الإسلام. وهذا ما سمح للسيد قطب أن يقول: إن الدولة الراهنة الموجودة في العالم العربي والإسلامي هي دولة لا تمتلك شرعيتها الدينية.

من هنا أخذت تبرز أسئلة، ومنها: هل توجد فعلا (وقد أشار إلى ذلك الأستاذ فيلد) أمم تأخذ بالعقيدة الإسلامية، لكنها تؤسس لدولة غير دينية، أي دولة علمانية؟ هذه الأسئلة بدأت تبرز، خاصة مع تعاظم البحث العلمي في الدراسات الإسلامية، وعلى وجه الخصوص ما ينحو منها نحوا عقلانيا، عقلانيا نقديا، بحيث أن هذه الدراسات أفضت الآن، ويسعدني ويشرفني أن أقول إنني أسهم في ذلك، إلى القول إن الاسلام يمكن أن يقرأ قراءات متعددة، ومنها القراءة العَلمانية بالذات، انطلاقا من النص ذاته، وانطلاقا من قُرّائه. وهنالك ثلاثة مبادئ في الإسلام يقرأها القارئ أحيانا دون اهتمام بليغ، أو دون اهتمام مركز باتجاه مفهوم العلمانية والعقلانية.

أولا: إقرار بالتعددية. ضمن النسق نفسه، النسق الإسلامي نفسه، وما بين هذا النسق والأنساق الدينية الأخرى وغيرها. وهناك آيات كثيرة تشير إلى ذلك.

ثانيا: إقرار بالحرية. وهذه القراءة هي قراءة ذات أصول بعيدة في النص نفسه، كما في التاريخ الفكري الإسلامي الذي كان المعتزلة على رأسهم. وبهذا المعنى نلاحظ أن مفهوم الحرية ضروري لمفهوم العلمانية، موجود بالضرورة في النص الإسلامي.

وثالثا: مفهوم العقلية. وهذا المفهوم وإن ظل مفهوماً حدوده في العقل الديني، فقد كان في حينه أسهم في الخروج باتجاه إيجاد منظومات سياسية تفعل عقليا، تفعل غير ديني. ومن ثم نلاحظ أن هذه المبادئ تؤسس لقراءة إسلامية باتجاه العولمة.

إضافة إلى ذلك، وهذه مسألة كبيرة وخطيرة في الدراسات الإسلامية، أقول إن بنية النص الديني الإسلامي، قرآناً وسنةً، قائمة على المجاز. إنها بنية مفتوحة، مفتوحة بقدر ما يقرأها القراء متعددو المصادر والمرجعيات السياسية والمعرفية والاجتماعية وغيرها. البنية نفسها تدعوك إلى أن تقرأها هكذا. ونحن نعلم أن الفكرة المهمة في النص القرآني التي تقوم على القول بوجود «آيات محكمات... وأخر متشابهات» تعني أن

هذا قد يمثل منطلقا مهماً بالمعنى المعرفي لإنتاج قراءة تصل إلى العلمانية. هذا طبعا مع الأخذ بعين الاعتبار تلك التجربة الأولى التي عاشها الإسلام في باكورته الأولى ممثلة بدستور المدينة.

إن هذا وذاك يجعلنا نصل إلى مجموعة من الأفكار تنمو الآن ، خصوصا في بعض المؤسسات الأكاديمية والجامعية، وربما أتحدث هنا عن الأردن وسوريا ومصر، إذ إن بعض الجامعات تنمو فيها هذه الأفكار التي أريد أن أشير إلى بعضها.

أولاً: إن العَلمانية بدأت تتضح أنها ليست مماثلة للإلحاد أو للادينية، وهي على الأقل أمر آخر علينا أن نفحصه. لكن ظهر واضحا الآن لدى أوساط كثيرة من الباحثين أن العلمانية ليست مماثلة أو متماهية أو قريبة من الإلحاد. هذه مسألة، وهنالك مسائل أخرى تأتي فيما بعد، علينا أن نفحصها وندقق فيها.

ثانيا: إن العَلمانية لا تُقصي الدين عموما، وإنما تؤكد على أنه موجود في حقلين كبيرين هما المجتمع والشعب. لكنها، بوصفها علمانية، ترى ضرورة إبعاد الدين عن السلطة. وهكذا يقال الآن كي لا يُمَسَّ الدين من المصالح التي تدخل البشر في وحول كثيرة. وهنا نضع يدنا على فكرة طريفة هي التلاقي بين العَلمانية والديمقراطية، أي أن العَلمانية تريد أن تدافع عن الدين كي لا يقع في براثن الصراعات السياسية هنا وهناك. هذه فكرة مهمة تنتشر الآن في سوريا، خاصة في الأوساط الجامعية.

ثالثا: إن العَلمانية هي موقف من السلطة السياسية، ومن ثم فهي نظرية سياسية بلواحق معرفية.

في هذا وذاك وذلك، نلاحظ أن ظواهر أخرى أخذت تنمو في وجه هذا التحول الجديد، ومنها أن الأصولية تعيد الكرّة الآن في اتجاه تلفيق خصوم جدد للدين باسم العلمانية ذاتها، وهذه مسألة تثير الانتباه فعلا. وقد نقول كذلك إن السلطة في معظمها في العالم العربي تريد أن تحافظ على توازن قائم على طرفين اثنين هما: تحفيز الأصوليين، وإيجاد خصوم دائمين للأصوليين كي تبقى هي فوق الجميع.

وأشير إلى التجربة الجزائرية التي ما بُحثت إلا قليلا حتى الآن. هذه التجربة التي كاد الإسلاميون أن يصلوا من خلالها إلى السلطة، ولكنهم أوقفوا. لماذا ؟ لأن السلطة هناك، بحواش كثيرة لها في الداخل والخارج، أدركت أن وصول الأصوليين سيعني نهايتهم لأنهم لا يملكون البرامج الاقتصادية والسياسية والثقافية. ومن طبائع الأمور أن الأصوليين لا يملكون مثل ذلك، إنما يريدون أن يملكوا شيئا آخر من الماضي لأن رؤيتهم ماضوية تنطلق من أن الماضي هو سيد الأحكام. لذلك تأتي هذه التجربة الآن رداً على النمو الجديد على صعيد البحث العلمي السياسي في العلمانية.

هذه نتائج تنمو الآن كما أشير، مع التأكيد أخيرا على أن العلمانية لا تعني دائما صمّام أمان، لكنها قد تقترن بظواهر أخرى كما هو الحال في لبنان. نتحدث عن لبنان، ونتحدث كذلك عن المجتمع العلماني اللبناني، ولكن مع ذلك عن الحرب الطائفية التي كادت أن تطيح به.

العَلمانية إذاً ظاهرة حية حين توضع في سياق التحول التاريخي، وهي لا تعني شيئا بذاتها، إنما تعني شيئا حينما توضع في هذا السياق. وحينما نقول الآن في الفكر العربي وفي الوضع العربي والإسلامي إن العلمانية أصبحت ضرورة قصوى، فإنما نعني أن الإسلام يجب أن يُحيَّد عن هذه الصراعات الدامية ليبقى يمثل شكلا من أشكال ضمير الإنسان، الضمير الأخلاقي والفكري، دون أن يكون شاغله الشاغل الصراعات السياسية التي نعيش في أفضائها.

وشكرا.



الأمم المتّحدة والعراق وبناء السّلام *

د. رامش ثاكور **

١ – بناء السلام

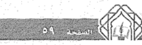
كما ندرك مرة أخرى، وفي هذه المرة من العراق، فإن شن الحرب دون مباركة من الأمم المتحدة هو أسهل من كسب السلام. لكن الانتصار في الحرب لا قيمة له إذا لم يؤد إلى سلام متين. وهكذا تقف الأمم المتحدة اليوم وقد تضررت ثلاث مرات: في البلدان التي خاضت الحرب دون الحصول على تفويض بها، وفي عدد أكبر من البلدان التي لم تستطع إيقاف تلك الحرب، وفي الوقوف موقف المتفرّج جانباً والعراق يشتعل ناراً. وإذا ما كانت الولايات المتحدة الأمريكية تمثل القوة العالمية التي لا غنى عنها، فإن الأمم المتحدة تمثل ينبوع السلطة الدولية، وهي فقط التي تستطيع بناء القوة العسكرية وتعزيزها واستخدامها باسمنا بشكل جماعي. وبذلك لا تكون المهمة الملحة تفادي الأمم المتحدة والالتفاف حولها، بل جعلها تعمل بشكل أفضل وتتحمل مسؤوليتها العالمية في حماية الشعوب ضد أمثال صدام حسين مستقبلاً، وكذلك ضد الحروب التي تشنها قوى كبيرة ذات توجهات عدائية.

١,١ الأمن الإنساني

تضطلع الأمم المتحدة بمسؤولية إدامة الأمن والسلام العالميين. وقد كانت إحدى منجزاتها الكبيرة التي حققتها في السابق الإشراف على إزالة الاستعمار عن أجزاء كبيرة من الأسرة الإنسانية. ولم تهتم كثير من الدول الجديدة التي تخلصت من حكم الاستعمار في ظل الحرب الباردة، التي تجاوزت الحدود وعمّت العالم، بالتنافس الأمني ما بين موسكو وواشنطن قدر اهتمامها بالتنمية. ونظراً لهيمنة هذه الدول على عضوية الأمم المتحدة لمجرد ثقلها العددي، فإن تركيزها الرئيسي كان يعني أن المنظمة قد حصلت فوراً على تفويضين كبيرين، وهما السلام والأمن، والنماء والتطوير.

* عقد هذا اللّقاء [رقم (٢٠٠٤/١١)] في مقرّ المنتدى؛ ٢٠٠٤/٩/٢٨. الأصل باللّغة الإنجليزيّة؛ التّرجمة إلى العربيّة: أ. نمير عبّاس مظفّر.

** النائب الأوّل لرئيس جامعة الأمم المتّحدة؛ مساعد أمين عام الأمم المتّحدة.



مع نهاية الحرب الباردة، لم يتحقق عائد السلام الذي رجح توقعه، وقد حل محله، على ما يبدو، ظهور نزاعات عرقية وقومية، وضرورات إنسانية معقدة، وحتى عمليات إبادة جماعية أودت بحياة أعداد كبيرة من المدنيين.



أمر بسيط، مع أن له تداعيات عميقة تتعلق بكيفية نظرتنا للعالم، وتنظيمنا لشؤوننا السياسية، واختياراتنا في السياسة العامة و السياسة الخارجية، وعلاقاتنا مع زملائنا من البشر من بلدان وحضارات مختلفة.

وتسببت حدة الصراعات وحساسية البشر بعدم وضوح الحد الويستفالي (Westphalian line) بين المجالين الوطني والدولي للنشاط الإنساني. وبالتوازي مع ذلك أخذ النموذج الغالب للأمن الوطني، مع ما يتميز به من تركيز ضيق على مفاهيم سلامة الأراضي وسيادة الدولة والاستقلال السياسي، يضعف تحت وطأة المفهوم الأوسع للأمن الإنساني.

إن الأمن الوطني يضع الفرد في خدمة الدولة، بما في ذلك أعمال القتل المطلق للغير وللذات بإيعاز من الحكومة إذا ما اقتضى الواجب ذلك. أما الأمن الإنساني فيضع الفرد في مركز النقاش والتحليل والسياسة. فالفرد، ذكراً كان أم أنثى، هو موضع الأهمية القصوى، في حين أن الدولة هي فقط أداة جماعية لحماية الإنسان وتعزيز رفاهيته. وقد تواجه المكونات الأساسية للأمن الإنساني الخطر عن طريق العدوان الخارجي، وكذلك عن طريق عناصر داخلية في البلد تضم قوى «أمن»، إذا كانت الدولة مفرطة القوة، كما تعاني، من ناحية أخرى، من فوضى بنيوية، إذا كانت الدولة فاشلة.

إن إعادة تشكيل الأمن الوطني على صورة أمن إنساني

ويتواءم بناء السلام تحت مظلة الأمن الإنساني على نحو أكثر يسراً من تواؤمه تحت مظلة الأمن الوطني، سواء كان ذلك فيما يتعلق باجتثاث الألغام الأرضية، أو حماية المدنيين من الأعمال الوحشية، أو تخفيض الوفيات بين الأمهات والأطفال والمصابين بمرض الأيدز، عن طريق تحسين أنظمة العناية الصحية وتحقيق وصول أفضل إلى الأدوية المتاحة. كما إن الترابط بين الأجندتين الكبيرتين للأمن والتنمية قد أصبح أكثر وضوحاً وأعم قبولاً في أعقاب نهاية الحرب الباردة. وقد شكلت عملية «بناء السلام» الجسر الفكري بين الأجندتين. وهي توفر وسائل الربط على طول وقت جهود منع الصراعات، وإدارتها، وإعادة البناء في أعقابها، وتسويتها، وتعزيز السلام [1]. وهكذا فإن هذه العملية تتناول المسببات المباشرة والأساسية للصراعات من خلال إجراءات بنيوية ومباشرة.

ويمكن القول من منطلق تحليلي إن هناك مفهومين مندمجين معاً في عبارة «بناء السلام»، وهما «السلام» و «البناء». فالسلام يمكن أن يبنى عند أية نقطة تقع بين سكون الأزمة، أو أعمال العنف، وقرب حدوثها وبدايتها، وكذلك بعد انتهائها. ويمكن تعريف السلام

---

(١) وعلى الرغم من أن الدكتور بطرس غالي قد حصر، في مؤلفه «أجندة من أجل السلام» (نيويورك، الأمم المتحدة، ١٩٩٢، صفحة١١)، عملية بناء السلام في مرحلة إعادة البناء بعد انتهاء الصراع، محاولاً تفادي العودة إلى الصراع، فإن الإجماع على ما يبدو الآن يدعو إلى دمج العمليات الثلاث؛ أي منع الصراعات وإدارتها وإعادة البناء في اطار واحد.



وتفسيره والوصول إليه بعدة طرق مختلفة، بدءاً من المعاني الضيقة جداً إلى المعاني الأوسع، وحتى النقطة التي تكون فيها أية خصوصية باقية قد تلاشت إلى تصريحات جوفاء فقدت إثارتها وغدت عديمة الأهمية. وأنا أُعرِّف بناء السلام بأنه أفعال يتم اتخاذها من أجل تدعيم السلام ومنع وقوع الصراعات العنيفة، أو اشتدادها، أو انتشارها، أو تواصلها، أو عودة اندلاعها. ومن الواضح أن منع الصراع لا علاقة له بمناقشة عملية بناء السلام في العراق. وبدلاً عن ذلك، يتعين علينا أن نركز على إعادة الإعمار في فترة ما بعد انتهاء الصراع. وقبل القيام بذلك، أود أن استعرض موقف الأمم المتحدة فيما يتعلق بالحرب العراقية.

٢ – العراق، والأمم المتحدة، والولايات المتحدة الأمريكية

لقد عكرت حرب العراق أجواء عالم الدبلوماسية الدولية على نحو لم يسبق له مثيل إلا في قضايا قليلة منذ عام ١٩٤٥. وستبقى قانونيتها، وشرعيتها، وآثارها على العلاقات بين الأمم المتحدة والولايات المتحدة الأمريكية موضع نقاش لعدة سنوات قادمة. وتمثل العبارات الآتية التي جاء بها السيد خوزيه لويس زاباتيرو، رئيس وزراء إسبانيا الذي تم انتخابه مؤخراً، محصلة بليغة وبارعة الإيجاز للشعور الدولي الغالب، بل ولرأي «المجتمع الدولي» الأكثر تضرراً بتداعيات هذه الحرب: «لقد كانت الحرب كارثة... فقد فَرقت أكثر مما وحّدت، ولم تكن لها أسباب موجبة. وقد أثبت الزمن أنها افتقرت إلى المصداقية، وأن الاحتلال قد أدير بشكل سيء... فلا يمكنك تنظيم حرب على أساس الأكاذيب. وإن مثل هذه الحرب التي نشبت في العراق لا يمكن إلا أن تؤدي إلى انتشار الكراهية والعنف والإرهاب»[٢].

تتواصل أصداء الحرب وعواقبها، خاصة فيما يتعلق بأثرها الدائم. وكان لدى واشنطن خمسة ادعاءات لشن الحرب على العراق. وتمثلت هذه الادعاءات بالتهديد الناجم عن انتشار أسلحة الدمار الشامل، وخطر الإرهاب الدولي، والحاجة إلى إيجاد موطىء قدم للحريات الديمقراطية وسيادة القانون في الشرق الأوسط، والحاجة إلى تقديم صدام حسين إلى العدالة بسبب الأعمال الوحشية التي ارتكبها نظام حكمه، والواجب الذي يقضي بأن تكون (الولايات المتحدة الأمريكية) الجهة التي تفرض تنفيذ القانون بالقوة نيابة عن المجتمع الدولي. ومن غير الواضح حتى الآن مدى إدراك أبطال الحرب لمقدار ما سببته الطرق التي اختيرت فيها من تقويض للادعاءات الخمسة سالفة الذكر، ولحقيقة أن الدمار الجماعي الذي سببته هذه الطرق لمشروع «نور الامبراطورية» كان أكبر من مجموع نتائج أجزائها المتفرقة.

في حين أصرت الجهات التي شنت الحرب على أن إجراءاتها كانت قانونية ومشروعة، سلّم آخرون باحتمال أن الحرب لم تكن قانونية، لكنهم كانوا على استعداد لدعمها لأنها، على الرغم من ذلك، كانت مشروعة، كما كان عليه الحال في كوسوفو عام ١٩٩٩. وكذلك، فهناك مجموعة ثالثة تصر على أن الحرب كانت غير قانونية وغير مشروعة، ومن هنا كانت معارضتها الشديدة لها.

وفي إطار مماثل، كانت هناك ثلاث وجهات نظر حول أهمية الحرب بالنسبة للعلاقة بين الأمم المتحدة والولايات المتحدة الأمريكية. فقد كان لواشنطن بكل تأكيد وجهة نظر في تذمرها المر من عدم مواءمة آلية الأمم المتحدة ووسائلها

(٢) مقتبسة في مقالة روي إكلستون «العراق: بعد ٣٦٦ يوماً»، التي نشرت في مجلة «الأسترالي» *The Australian*؛ ٢٠ آذار/مارس ٢٠٠٤.

الحالية في مواجهة التهديدات الحقيقية المعاصرة والقضاء عليها. وكان الرئيس جورج بوش على خطأ في اقتراحه أن خيار الأمم المتحدة في العراق كان يقع بين الصلة وعدم الصلة، وبالأحرى بين الصلة والمركزية والتواطؤ.



الإخفاق في العثور على أسلحة الدمار الشامل في عام ٢٠٠٣ لا يغير السجل التاريخي لسعيه المعروف نحو استخدام مثل تلك الأسلحة.

إن عدسات تعددية الأطراف، التي يغطيها الضباب في العادة، قد جوبهت بالوضوح الأخلاقي لإرادة مصممة، انطلاقاً من قدرتها على التمييز بين الخير والشر، على تعزيز الأول وتدمير الآخر. وقد أخضع تهديد أمريكا بالحرب، والقيام بها منفردة إذا اقتضت الحاجة، الأمم المتحدة لأن تزيد من فاعلية آليات التفتيش، وأدى إلى الحصول على تعاون من العراق لم يسبق له مثيل. إلا أن ذلك التعاون لم يكن ليستمر طويلاً. فنتيجة لتراخي الضغط الخارجي مع مرور الوقت، عاد صدام حسين إلى نهجه المعهود في التحايل والتراجع. وكان من الممكن لاستمرار صدام حسين على هذا النهج بعد التعبئة العسكرية العامة التي قامت بها الولايات المتحدة أن يخدش مصداقيتها العالمية. وبذلك فقد تفقد الأمم المتحدة، التي لا تملك قدرة عسكرية مستقلة خاصة بها، أداتها الأقوى لفرض إرادتها (وهي الولايات المتحدة)، مما قد يشجع طغاة محتملين آخرين على تحديها. وقد تُعرِّض الضربة السياسيّة القاسية الناتجة عن ذلك في الولايات المتحدة عضويتها في الأمم المتحدة للخطر، فتنقلب الأمم المتحدة إلى «عصبة أمم» هذا القرن.

١,٢ عدم صلة الأمم المتحدة

حذرت الولايات المتحدة منظمة الأمم المتحدة من عدم صلتها إذا لم تفرض قراراتها على المتمردين الخارجين على القانون. وقد أزاحت الهجمات الإرهابية للحادي عشر من أيلول الغموض عن الصورة الاستراتيجية الكبيرة. وبالنسبة لواشنطن لم تكن الأمور الأخرى لتفوق هذا الحدث في الخطورة والجدية. فقد كان العراق يخضع «لنظام حكم مارق» لم يأل جهداً في سبيل الحصول سراً على أصلحة الدمار الشامل؛ ولم يتوان عن استخدام الأسلحة الكيماوية ضد مواطنيه ومواطني جارته إيران؛ ومارس أفظع الجرائم ضد حقوق الإنسان؛ وهاجم إيران؛ وغزا الكويت وضمها لأراضيه؛ وتحدى هيئة الأمم المتحدة على مدى اثني عشر عاماً. فهل يسمح لواحد من أكثر الأنظمة خطراً في العالم أن يبقى في مكان القوة حتى ينجح في الحصول على أخطر الأسلحة في العالم؟

إن الأزمة القائمة حالياً مع كوريا الشمالية أثبتت حكمة التعامل مع صدام حسين قبل أن يتمكن من الحصول على الأسلحة النووية وغيرها من الأسلحة المساوية لها في الخطورة، إذ كان من المستحيل كسر شوكته لو كان قد حصل على أسلحة الدمار الشامل ونظم استخدامها. وإن

٢,٢ مركزية الأمم المتحدة

أقرت وجهة النظر الثانية الحاجة إلى مواجهة صدام، لكنها استبعدت التصرف دون تفويض من الأمم المتحدة. وقد اعتبر خطاب الرئيس بوش الموجه إلى الجمعية

العمومية للأمم المتحدة في شهر أيلول/سبتمبر ٢٠٠٢ مطالبة بالإذعان الدولي لمشيئة واشنطن أكثر منه تسليماً من الولايات المتحدة الأمريكية بمبدأ تعددية الأمم المتحدة. إن مجلس الأمن يقع في قلب منظومة تطبيق القوانين الدولية. والأمم المتحدة تمثل أملنا الوحيد لتحقيق الوحدة في حالات التباين وسط عالم تتطلب المسائل العالمية فيه حلولاً متعددة الأطراف. وتجاوز الأمم المتحدة يقوض أركانها، ويضع أساسات نظام عالمي آمن وعادل في خطر.

إن شرعية الأمم المتحدة تتعرض للتآكل بشكل متواصل بسبب وجهات النظر بأن تركيبة مجلس الأمن غير تمثيلية، وعملياته غير ديمقراطية، ولا تتم مساءلته من أي جهة «دونه» (الجمعية العمومية على سبيل المثال)، أو «فوقه» (المحكمة الدولية على سبيل المثال)، ناهيك عن عدم كفاءته. وكثيراً ما يستهزىء الأمريكيون بالجانب السلبي الأخير هذا. وفي حال أصبح مجلس الأمن أكثر نشاطاً، وأكثر تدخلاً وفاعلية، فإن انعدام الشرعية التمثيلية والإجرائية والمساءلة القانونية قد يؤدي إلى قيام الكثير من الأطراف الأخرى بمقاومة سلطة المجلس بشكل أشدّ قوة.

٢,٣ تواطؤ الأمم المتحدة

لقد قبلت وجهة النظر الثالثة تفويض الأمم المتحدة على أنه ضروري، لكنه غير كاف. وكان هنالك قلق كبير من أن الأمم المتحدة قد أُفسدت بشهية الولايات المتحدة وأجندتها لمسلسل الحروب. فقد خاطرت الأمم المتحدة بأن تكون للولايات المتحدة ما كان حلف وارسو للاتحاد السوفييتي القديم: ذريعة للطموحات الاستعمارية للدولة المسيطرة، وآلية جماعية لإضفاء الشرعية على هيمنة تلك الدولة. ولا يمكن أن تُسَخَّر الأمم المتحدة لخدمة مصالح الولايات المتحدة عندما يكون ذلك أمراً ملائماً للثانية، وتهمل في الحالات الأخرى. وكان هنالك رأي حظي بقبول واسع، وهو أنه في حالة رشوة الأمم المتحدة وإخضاعها، وإقرارها لشنّ الحرب، فإن شرعيتها، بصفتها الحارس لسيادة القانون والحامي للضعيف، ستغدو، بدل لزومها لأن تصبغ العمل العسكري ضد العراق، عرضة للتآكل. وستبلى مصداقية الأمم المتحدة إذا ما هاجمت الولايات المتحدة العراق بتفويض من الأمم المتحدة، مع قوة العراق للدفاع عن النفس التي أضعفتها أشهر نزع السلاح التي فرضتها الأمم المتحدة عليه.

لقد تضمنت أسباب فكرة معارضة الحرب القوية التي انتشرت في العالم شكوكاً حول تبرير شن الحرب، وقلقاً حول الخسائر البشرية وسياق الحرب الذي لا يمكن ضبطه، وعواقبها التي لا يمكن إحصاؤها في إقليم مشتعل أصلاً، وكذلك شك حول إمكانية بقاء الولايات المتحدة منشغلة، سياسياً واقتصادياً وعسكرياً، للسنوات التي تتطلبها إعادة الإعمار بعد الحرب.

لقد كانت النظرة إلى واشنطن أنها كانت مصممة على خوض غمار الحرب، ليس لأنها مضطرة لذلك، بل لأنها تريد ذلك وتستطيع أن تقوم به. فقد كان صدام على أجندة هذه الإدارة عندما وصلت إلى سدة الحكم، وجاءت أحداث الحادي عشر من أيلول/سبتمبر عذراً لشن الحرب وليس سبباً. كما هيأ التقدم الذي تم إحرازه في مجال التكنولوجيا العسكرية الإمكانية لاستكمال بنود أجندة حرب الخليج للفترة ١٩٩٠-١٩٩١.

لقد وجدت واشنطن صعوبة خاصة في إقناع الجهات الأخرى بالحاجة إلى شن الحرب على نحو فوري، ولم تستطع دعم موقفها من خلال التنقل المستمر ما بين المبررات. لكن، لماذا لا يعطى المفتشون وقتاً إضافياً لإنهاء مهمتهم؟ لقد كان لسياسة الاحتواء والردع أثرها ضد العدو السوفييتي الأشد بأساً أثناء الحرب الباردة. فما

الداعي إلى استبدال المفتشين بنظرية الاستباقية بكل ما تنطوي عليه من عوامل عدم الاستقرار؟

إن الأمم المتحدة لا تقف، فطرياً أو أيديولوجياً، موقفاً معادياً للولايات المتحدة. كما أنها ليست منظمة لا عنفية، على الرغم من أنها ترمز إلى السلام وتعمل على تحقيقه. ففي عام ١٩٩٠، وبخرق فاضح لأحكام ميثاق الأمم المتحدة، غزا العراق الكويت، فأيدت الأمم المتحدة بقوة شن حرب لإخراج العراقيين من الكويت. وفي عام ٢٠٠١ تعرضت الولايات المتحدة إلى هجمات إرهابية، فانبرت الأمم المتحدة تحث على الاستجابة للدعوة الأمريكية بشن حرب على الإرهابيين وعلى حكومة طالبان في أفغانستان التي منحتهم مقراً إقليمياً فوق أراضيها. واعتُبرت الأزمة خلال الفترة ٢٠٠٢ - ٢٠٠٣م نتيجة لعدائية الولايات المتحدة، لا نتيجة للعدوان العراقي. ولُفِّقَت أزمة لم يوجد أحد ليقترح نشوب حرب بسببها. ولو قدر لمجلس الأمن أن يُقرّ شنّ حرب، لاعتبر كياناً يفتقر إلى الشجاعة الخاصة بقناعات الأمم المتحدة من خلال استسلامه للتهديدات الأمريكية ومداهنتها. فالشعوب تنظر إلى الأمم المتحدة بصفتها مؤسسة تعمل على إيقاف الحروب لا على شنها. وهي تمثل الرمز والأداة الرئيسيتين للتخفيف من استخدام القوة في العلاقات الدولية، لا مباركتها وإقرار توسيع مداها من خلال النظرية الثورية للاستباقية.



وقد واجهت الأمم المتحدة مأزقاً آخر. فهي إن لم تُحضّر مسبقاً لمواجهة تحد إنساني فيما بعد الحرب، فإنها تجازف باتهامها بإهمال جنائي لطارىء كان محتمل الوقوع. لكنها إن حَضَّرت لمواجهة ذلك الطارىء، فإنها تجازف باتهامها بالقبول ضمنياً لهجوم على المبادىء الأساسية لميثاقها بدل أن تقاوم بفاعلية مثل ذلك الخرق الصارخ للأعراف الدولية التي تقضي بمنع استعمال القوة والتهديد بها.

يقول البعض في المجتمع المدني إن الأزمة قد زادت من الحاجة إلى جمعية عالمية للشعوب لمناهضة حالات الخداع المتكررة من قبل منظمة فيما بين الحكومات. وينظر آخرون إلى أمين عام منظمة الأمم المتحدة باعتباره آخر خط دفاع عن مبادىء ميثاق المنظمة. إلا أن ذلك يضع حملاً مستحيلاً على كتفي أعلى موظف مدني دولي. فإذا كان مجلس الأمن متحداً، لا يستطيع الأمين العام أن يكون صوت المعارضة البديل. أما إذا كان المجلس منقسماً على نفسه، فلا يستطيع الأمين العام أن يكون البديل لعدم فاعلية مجلس ممزق.

٣ - إرساء دعائم السلام في أعقاب النزاعات

في تقريره لعام ١٩٩٨ حول «أسباب النزاعات وإرساء السلام الدائم والتنمية المستدامة في أفريقيا»، بيّن الأمين العام للأمم المتحدة: «إن عملية بناء السلام لا تحل محل النشاطات الإنسانية والتنموية في الدول الخارجة من الأزمات، بل تستهدف البناء على مثل هذه النشاطات، أو الإضافة إليها، أو إعادة توجيهها بطرق وضعت للتقليل من خطر استئناف النزاعات، والمساهمة في خلق ظروف تؤدي إلى المصالحة وإعادة الإعمار واسترداد العافية. . .

إن المجتمعات التي تخرج من الصراعات لها احتياجات خاصة. ومن أجل تفادي العودة إلى الصراعات في الوقت الذي يتم فيه إرساء قواعد متينة للتنمية، لا بد من تركيز الاهتمام على الأولويات المهمة، مثل تشجيع المصالحة؛ وإعلان احترام حقوق الإنسان؛ ورعاية الشمولية السياسية وتعزيز الوحدة الوطنية؛ وضمان إعادة اللاجئين والمهجرين إلى ديارهم بأمان وسهولة وفي وقت مبكر؛ وإعادة دمج المقاتلين السابقين وغيرهم في مجتمع مثمر؛ والحد من وجود الأسلحة الخفيفة؛ وتعبئة الموارد المحلية والدولية لإعادة الإعمار واسترداد العافية الاقتصادية. وكل من هذه الأولويات مرتبطة بكل واحدة من الأخرى، ويتطلب النجاح جهداً منسقاً وموحداً على جميع الجبهات».

لا يمكن السماح للعراق بالفشل، لا سيما بعد كل ماحدث. وإن لكل منا حصة حيوية في استقرار العراق واحتواء الإرهاب، وتجاوز الأخطاء التي ارتكبها نظامه. وإن الجيش الأمريكي لا يتلاءم والرؤية شبه الاستعمارية. فانطلاقاً من بنيته لخوض معارك حربية شديدة التركيز، يصعب عليه الانخراط في عمليات السلام. وفي حال وجوده خارج حدود بلاده، فإنه يفتقر إلى القدرة على مواصلة البقاء وإلى مهارة بناء الأمم. وبالمقارنة، فإن الأمم المتحدة تمتلك المصداقية والشرعية في مهارة دمج محاربي الأمس، وتحقيق المصالحة بين الأعداء السابقين، وإعادة بناء المجتمعات التي مزقتها الحروب. وبشكل خاص، فبعد الصور التي جاءت من سجن «أبو غريب» في العراق، قد يأخذ الضرر الذي أصاب مصداقية الولايات المتحدة وصورتها في العالم الإسلامي والعربي جيلاً كاملاً قبل أن ينجلي. ولا بد أن تبدأ الآن عملية استعادة العراق لعافيته. وينبغي أن تنال المهمات التالية الاهتمام والعناية العاجلتين في العراق.

١,٣ الاستقرار

أولاً، استقرار الوضع الأمني. إن النزاعات الحالية تأخذ اتجاهاً خاطئاً، مع العدد الكبير من عمليات الخطف، وعمليات الهجوم على الموظفين والمدنيين العراقيين، وأفراد القوات المحتلة، والهيئات الإنسانية، وإيقاع الإصابات بينهم. وقد حلَّت المحافظة على احترام القانون والنظام محل بناء عراق جديد كأولوية عليا. وإن التصاعد المحزن لكسر شوكة القانون وتدمير النظام لا بد أن يوقف ويُعكس مساره. كما لا بد من ملاحقة المتمردين واحتوائهم والتضييق عليهم بشكل تدريجي بغية حصرهم في قواعد عمل ضيقة، تمهيداً لدحرهم في النهاية. وقد يتطلب ذلك إعادة تنظيم مزيج القوى من الوحدات العسكرية والمنتسبين، وتحقيق توازن أفضل بين الاستجابة للاستفزازات وتفادي تنفير القلوب والعقول. وثمة سؤال مهم الآن حول ما إذا أصبحت الولايات المتحدة، تبعاً لسلسلة الخطوات والأحكام الخاطئة التي قامت بها، جزءاً من المشكلة إلى الحد الذي يستوجب انسحاب قواتها من العراق قبل تمكننا من تحقيق أي تقدم نحو تحقيق الاستقرار في البلاد. ولقد بات وجود الأمريكيين مركز استقطاب للشكاوى والتظلم، وسبيلاً يسهل عمل الجهاديين والإرهابيين. ويمثل هذا الجانب معضلة حادة: فهل ينبغي على الأمريكيين الانسحاب والمجازفة بانحدار فوري إلى الفوضى؟ أم هل سيؤدي بقاؤهم إلى تأكيد انحدار بطيء إلى الفوضى؟

إن قرارات مجلس الأمن يمكن أن توفر التفويض المطلوب لإقامة بنية قيادة جديدة. ونحن بحاجة أيضاً إلى مساهمات مناسبة في القوة من قبل البلدان العربية والإسلامية وغيرها من البلدان الأخرى. وموقف فرنسا هو موقف فاتر: فغضب العام المنصرم يقابله عدم اكتراث في هذا العام. إلا أن منظمة المؤتمر الإسلامي دعت في اجتماع سبق لها أن عقدته في هذه السنة إلى مساهمات

أكبر من أعضائها في عملية تديرها الأمم المتحدة.

إن ما يدعو إلى الأسف أن الحرب قد جعلت التهديد الناجم عن الإرهاب الدولي أكثر سوءاً في كثير من بقاع العالم. كيف يمكن تحقيق النصر في حرب على الإرهاب الدولي ضد الأهداف الأمريكية والتحريض ما يزال قائماً على زيادة الكره للسياسة الخارجية للولايات المتحدة؟ لقد تنبأ عدد كبير من المراقبين المطلعين بأن منظر القوات الأمريكية المحتلة لبغداد يمكن أن يثير المزيد من الإرهاب، خاصة مع تواصل تقيح الجرح الفلسطيني في كيان الأمة العربية الإسلامية [٣]. ولقد كان العراق صرفاً للنظر عن الحرب ضد الإرهاب حين غدا أسامة بن لادن، بفاعلية، «أسامة بن المنسي». وبات العراق مرتعاً خصباً للإرهاب نتيجة للحرب. إن «ما لدينا» من دبابات وقنابل وقذائف صاروخية مليئة بالكرم واللطف الإنساني، وقد سيرتها ملائكة الفضيلة. وهكذا، فمن المحيِّر جداً كيف «هم» يكرهوننا ويمقتوننا على هذا النحو.

لم يكن التحريض على الإرهاب مقصوراً على العراق أو الشرق الأوسط. وقد سلم المسؤولون الأمريكيون في جنوب شرق آسيا بأن التجنيد وجمع الأموال لمصلحة منظمة «الجماعات الإسلامية» قد أصبحا أكثر سهولة بسبب المعارضة التي شهدتها المنطقة ضد الحرب على العراق [٤]. ويعلو ذلك كله أنه أصبح من الصعب زعزعة القناعة بأنه «لولا احتضان مقاومة المجاهدين للاحتلال السوفييتي لأفغانستان، الذين ساعدتهم وحرضتهم وكالة المخابرات الأمريكية وطواقم المخابرات السعودية والباكستانية بمختلف الطرق، ما كان لهؤلاء الإرهابيين المستقلين أن يبنوا الثقة والمعرفة والانضباط والخبرة التي تمكنهم من الانطلاق بنشاط جهادي على الصعيد الدولي [٥].

٣,٢ استرداد الشرعية

ثانياً، استرداد الشرعية المحلية والاقليمية والدولية. ولتحقيق هذه الأمور الثلاثة، فإن شكلاً ما من الاعتراف الدستوري من قبل مجلس الأمن كان ذا ضرورة على الدوام. فقد كان على الأمم المتحدة أن تتجاوز الخط الرفيع الفاصل بين النظر إليها باعتبارها تضفي الشرعية على حرب غير قانونية وغير عادلة من خلال التواطؤ مع الأطراف المحتلة، وأنها تتخلى عن شعب العراق الذي كان الضحية الحقيقية لثلاث مرات متتالية (وحشية نظام صدام، وعقوبات الأمم المتحدة، وحرب الولايات المتحدة).

٣,٣ تنمية البنية التحتية

ثالثاً:، إعادة إعمار بنية العراق التحتية. ولا يمكن تحقيق ذلك بشكل احتكار أمريكي، إذ إنه يتطلب مساهمة أوسع من قبل أعضاء المجموعة العربية والأوروبية والدولية. وإذا ما أخذ بعين الاعتبار حجم المبالغ اللازمة، والحاجة إلى بناء الشرعية، فلا بد من إدارة الدعم الدولي وجهود إعادة الإعمار بشفافية وبمنأى عن المحسوبية والمحاباة.

٣,٤ بناء الأمة

وأخيراً، بناء الأمة، وبناء الدولة، والتنمية الاقتصادية. لقد تراجعت التنمية الاقتصادية للعراق منذ غزو صدام للكويت عام ١٩٩٠ وما ترتب عن ذلك من تداعيات وتبعات. كما أن التنمية السياسية فيه قد توقفت نتيجة انهيار الدولة لتصبح إقطاعية لصدام حسين، وتُسخَّر خيراتها لصالح رفاهية أبناء عشيرته.

---

(٣) راجع مقالة جسيكا ستيرن بعنوان: (Terrorism's New Mecca) في دورية *The Globe and Mail* (تورنتو)؛ ٢٠٠٣/١١/٢٨.

(٤) راجع مقالة ريموند بونر بعنوان: «هجمات جديدة متوقعة ضد جنوب شرق آسيا» في جريدة *International Herald Tribune*؛ ٢٠٠٣/١١/٢٥.

(٥) راجع مقالة جونثان باور بعنوان: «وضع الإرهاب في المنظور» في جريدة *International Herald Tribune*؛ ٢٠٠٣/١١/٢٧.

ومن أجل إقامة سلام في العراق، نحن بحاجة إلى القيام، في الوقت نفسه، بإرساء ديمقراطية متحررة وتوطيد أركانها (هذا لا يعني الاكتفاء بانتخابات لمرة واحدة فقط، بل يعني مؤسسات ممثلة للشعب تجعل الحكومات المنتخبة مسؤولة أمام الشعب وسيادة القانون، ومؤسسات للمساءلة مثل سلطة قضائية مستقلة، وصحافة حرة، وحماية مضمونة لحقوق الأقليات تكوّن جزءاً في حكم الأغلبية)، واقتصاد سوق مزدهر قائم على عقود قابلة للتنفيذ، وحقوق ملكية تعمل على دعم النمو الاقتصادي والازدهار، ومجتمع مدني قوي البنية ومرن يؤمّن الاستقرار الاجتماعي والسياسي.

لكننا نجد هنا مرة أخرى، كما هو الحال بالنسبة للإرهاب الدولي، أنه في الوقت الذي تسهم فيه الأمم المتحدة بشكل كبير في تحقيق أهداف إقامة الديمقراطية وتأسيس مؤسسات القانون والعدالة الجنائية، هناك درجة عالية من التشكك والارتياب بسبب الطرق المعتمدة والتناقضات الفكرية. فكيف يمكن للمرء زرع الديمقراطية في أرض غير مضيافة من خلال معاقبة الأصدقاء والحلفاء - في القارة الأم للقيم الأساسية للحضارة الغربية - الذين تجاسروا ومارسوا حقهم الديمقراطي في معارضة حرب لا يزال أمر تبريرها مثيراً للنزاع، بينما يتم مكافأة ديكتاتوريين قدموا الدعم الجاهز؟ وقد تكون الديمقراطية أيضاً النتاج الوحيد الذي لا يستطيع الأمريكيون تحمله في العراق. وفي ضوء



التكوين السكاني (الديمغرافي) للعراق، فإن انتخابات حرة نزيهة قد تأتي بنظام حكم إسلامي تسيطر عليه الشيعة ويكون موالياً لإيران.

وهكذا فسيكون هناك مسألة تناقض أخلاقي عندما تُفرض الديمقراطية في العراق بالقاذفات والطائرات العمودية والسفن الحربية والدبابات، بينما لا يُكتفى بالتساهل مع أنظمة مشابهة للعراق من حيث الشك في ديمقراطيتها، بل هي كذلك تبقى في كثير من الحالات ضمن الحلفاء الثابتين للولايات المتحدة.

إن توسيع الديمقراطية على نطاق العالم ليس من ركائز السياسة الخارجية الأمريكية، فالأسلوب البلاغي الذي يتم التعبير به عن الديمقراطية ما هو إلا ذريعة وراء أهداف تقليدية أخرى. وإن المنطق الذي تقوم على أساسه الانشغالات الدولية للولايات المتحدة ليس سياسة خارجية أخلاقية، بل سعي إلى تحقيق المصالح الوطنية. والسياسة الخارجية للولايات المتحدة متسقة استراتيجياً لا أخلاقياً. وهذه ملاحظة مبنية على التجربة لا حكم أخلاقي. فالولايات المتحدة قوة عظمى، وهي تتصرف على هذا الأساس.

إن الديمقراطية التحررية تستند إلى سيادة القانون. ترى ما الجواب لأولئك الذين يدّعون أن العدوان خارج حدود البلاد قابَلَهُ قمع داخلها مصحوب بخفض لحريات كثيرة اتخذها مواطنو الولايات المتحدة وسكانها وزوارها، على حد سواء، أموراً مسلماً بها على مدى

عقود من الزمن؟ وكان الأشدّ انحرافاً في هذا الصدد لعبة العدالة في خليج غوانتانامو، حيث كان الهدف وضع السجناء خارج حدود سيادة القانون، وبعيداً عن حماية أية محكمة، وتحت رحمة المنتصرين. إن ما ينطوي عليه (سجن) غوانتانامو من أمور شديدة الثورية، وبعيدة الأثر، ومرعبة جداً، يستوجب إبرازها. وبالفعل، فإن الولايات المتحدة تؤكد حقها في القدرة على «إلقاء القبض على مواطنين أجانب في أي مكان من العالم، ونقلهم بسرعة إلى غوانتانامو، واعتقالهم هناك إلى الأبد، دون أن تقوم أية محكمة بمساءلتها عن أعمالها، وهكذا دون أية قيود قانونية». والسلطات العسكرية للولايات المتحدة تستطيع «توقيف الناس إلى فترات لا حدود لها من غير محاكمة، في حرب متواصلة وغير معلنة ضد أعداء مجهولين» (٦). وعلى ما يبدو، فعندما تتحدث واشنطن عن تصدير الديمقراطية، فهي لا تعني تصديرها خارج حدود أمريكا.

لكن غوانتانامو ليس نهاية الأمر. فهنالك القضية الشهيرة الخاصة بالسيد ماهر عرار، الكندي من أصل سوري، التي يبدو أنها تقدم البرهان على ممارسة تمثيلية تسليم (المتهمين) للتعذيب، أي إرسال سجناء إلى بلدان معروفة بممارستها التعذيب وسيلة للحصول على المعلومات المطلوبة، على الرغم من أن مثل هذه الممارسات غير قانونية بموجب الاتفاقية الخاصة بتحريم التعذيب التي صادقت الولايات المتحدة عليها (٧). ومن غير المدهش أن حكومات كثيرة أخرى استخدمت، بتشجيع من قضم الحريات المدنية في حصن الديمقراطية، لغة الحرب على الإرهاب لتشن حروبها على المنشقين عنها في الداخل. وأسوأ مثال على ذلك، اعترفت به الآن حكومة مختلفة، كان في مقدونيا، حيث قتلت الشرطة مجموعة من المهاجرين الباكستانيين غير الشرعيين رمياً بالرصاص بدم بارد، بعد اتهامهم بأنهم إرهابيون، في مسعى لنيل رضى واشنطن من خلال البرهنة على إخلاص البلد (مقدونيا) كونها حليفة في الحرب على الإرهاب.

كما أنه ليس من الممكن ترسيخ حكم القانون ودور القانون الدولي في الشؤون العالمية، والعمل شرطياً للعالم، من خلال إفراغ الأجزاء الأكثر أهمية في القانون الدولي من مضامينها التي تحصر حق شن الحروب في الدفاع عن النفس وعند الحصول على تفويض من الأمم المتحدة. وبغرض الإطاحة بنظام حكم يقوم على الجبروت وحده مع جزء يسير من مقومات العودة إلى جادة الصواب، أهملت قوة عظمى واثقة بقدرتها العسكرية المؤسسات والاتفاقيات الموضوعة لتأكيد شرعية استخدام القوة. وبعد أن قامت واشنطن بذلك، راحت تطبق طرقاً واستراتيجيات «من صنع إسرائيل» لهدم بيوت الإرهابيين المشتبه بهم، وفرض عقوبات جماعية على المجتمعات التي يشك بأن الإرهابيين المزعومين قد جاءوا منها، وأخذ أفراد الأسر (بمن فيهم النساء) رهائن لحث الإرهابيين المشتبه بهم على تسليم أنفسهم، ووضع قيود خانقة على تحركات السكان المدنيين (٨).

وإذا أصبحت حرب بالاختيار ضد بلد لا يشكل تهديداً أمنياً محتملاً لأي بلد آخر حرباً شرعية، فلن يكون

(٦) راجع مقالة دافيد كول بعنوان: (Korematsu II?) ؛ دورية *The Nation* (بوسطن)؛ ٢٠٠٣/١٢/٨؛ صفحة ٦.

(٧) راجع مقالة دافيد كول بعنوان: «سورية : غرفة التعذيب الأمريكية»؛ دورية *The Nation*؛ ٢٠٠٣/١٢/١؛ صفحة ٧.

(٨) راجع مقالة هيلين كوبان بعنوان: «الإجراءات الصارمة 'من صنع إسرائيل' لن تجدي في العراق» المنشورة في صحيفة *Christian Science Monitor* في عددها الصادر في ٢٠٠٣/١٢/١١، ومقالة ديكستر فليكنس بعنوان: «واشنطن تشدد قبضتها على المدن العراقية: الإجراءات التكتيكية المستخدمة تعكس إجراءات إسرائيل في حربها ضد المقاومة»؛ صحيفة «هيرالد تريبيون»؛ ٢٠٠٣/١٢/٨.

هنـالك محل للقانون الدولي كي يسيطر على الحروب [٩] . إن القانون يعمل على التوسط في العلاقات بين الغني والفقير، والقوي والضعيف، من خلال كبح السلوك النزوي، والحد من الممارسات الاستبدادية للقوة. فإذا ما تمت الإطاحة بالكوابح المعيارية لقواعد السلوك القانونية من قبل المفترسين ذوي البصر الحاد في الغابة الدولية، ألا يقوم الآخرون، تقودهم الغريزة القديمة للحفاظ على الذات، باللجوء إلى أي من أسلحة الردع التي يمكنهم الحصول عليها بأي وسيلة ممكنة؟ وتقول وزيرة خارجية الولايات المتحدة السابقة (١٩٩٧-٢٠٠١) مادلين أولبرايت: «إن الإدارة، انطلاقاً من حساسيتها الشديدة الصريحة نحو معاهدات ضبط التسلح، لم تبذل أي جهد لتشجيع كبح تطوير الأسلحة باعتباره مبدأ أخلاقياً معيارياً تسعى جميع الأمم إلى الالتزام به» [١٠].

ويبرز مرة أخرى، على نحو غير متوقع وبقناعة خاصة، سؤال مثير للقلق حول التناقض السلوكي فيما يتعلق بقيام القوى المحتلة في العراق بتشكيل محكمة جنائية بغرض محاكمة صدام حسين. فإزاء رفض الولايات المتحدة للمحكمة الجنائية الدولية وجهودها الناشطة لتقويض أركانها، ونكرانها لمنح العدالة الأساسية لسجناء غوانتانامو، وتاريخها الحافل بتأييد أنظمة حكم قمعية وتسليحها، فإن العدالة التي ستقيمها مثل هذه القوة المحتلة ستكون «قانونيتها مشكوكاً فيها، وشرعيتها موضع تساؤل» [١١]. ومن المستبعد تخفيف حدة التصورات بأن واشنطن تنطلق في تصرفاتها من إيمانها بأن القوة تساوي الحق.

وأخيراً، فإنه من الصعب فهم كيف يمكن لبلد أن يفرض تنفيذ قرارات الأمم المتحدة عبر تحديه لسلطة المجموعة الدولية، وإنكاره لعلاقتها بالأمر، وتقليله من دورها في جهود إعادة الإعمار بعد الحرب. وتواصل استطلاعات الرأي، الواحد تلو الآخر، التأكيد على أن الصوت الجماعي للأمم المتحدة لا يزال يتمتع بوزن مهم كبير في ساحة الرأي العام العالمي. ومن أجل أن يكون أي إجراء عالمي واجب التنفيذ ذا كفاءة وفاعلية وديمومة، فلا بد أن يكون شرعياً. ومن أجل أن يكون شرعياً، فلا بد أن يأتي منسجماً مع أحكام القانون الدولي. ومن أجل أن يكون منسجماً مع أحكام القانون الدولي، فلا بد أن يكون متسقاً مع ميثاق الأمم المتحدة.

---

(٩) مع تهديد واشنطن بمعاقبة البلدان التي ترفض التوقيع على اتفاقيات ثنائية لحصانة جنود الولايات المتحدة أمام المحكمة الجنائية الدولية، سندرك أول مناسبة في التاريخ تغدو البلدان فيها أهدافاً للعقوبات بسبب محاولتها إعلاء شأن القانون الدولي والالتزام به، بدلاً من تحديه ومقاومته. راجع مقالة ماريا كرستينا كاباليرو بعنوان: «حلفاء رئيسيون يغدون ضحايا حرب الولايات المتحدة ضد المحكمة» المنشورة في صحيفة *International Herald Tribune* في عددها الصادر بتاريخ ٢٠٠٣/٧/٢٢ في طوكيو.

(١٠) راجع مقالة مادلين أولبرايت بعنوان: «الولايات المتحدة تجابه مآزق صعبة بموارد شحيحة» المنشورة في صحيفة *The Japan Times*؛ مقالة أعيد نشرها من صحيفة *The Washington Post*؛ ٢٠٠٣/٧/٢٣.

(١١) راجع مقالة هاني ميغالي و بول فان زيل بعنوان: «عدالة الولايات المتحدة بوجه عراقي؟» المنشورة في صحيفة *International Herald Tribune*؛ ٢٠٠٣/١٢/٤ .



نظرة في المياه المنافع والمخاطر*

د. منذر حدادين**

سعادة الأمين العام
السيدات والسادة

ألا انعموا مساءً إذ يعروني بلقائكم شعور بالسعادة يحدوني أن أقدم الشكر والامتنان لمنتدى الفكر العربيّ وأمينه العام للدعوة الكريمة التي بعثوا بها إليّ للتحدث إليكم. فشكراً للداعي ولكم أنتم المدعوين، وأرجو لكم أمسية مفيدة.

لا أعرف في الدنيا مادة تجلب المنافع مثلما تجلبها المياه. كما لا أعرف مادة تسبب المخاسر وتجلب المخاطر كما تفعل المياه. ولا غرو في الحالتيْن كلتيْهما! فالمياه عصب الحياة وبدونها هذه تستحيل. وهي لازمة لما يمكن أن نشير إليه «بالأمن الناعم» المتصل بسلامة البيئة والحفاظ عليها، وبصحة الإنسان، وبالتنمية الاقتصادية والاجتماعية وحتى السياسية، وبتأمين مستويات للمعيشة لائقة بالإنسان وكرامته، وبديمومة العطاء الثقافي والحضاري الإنساني.

فمن نافلة القول إن المياه أساس الشراب والطعام والنظافة للأفراد. وهي للمجتمعات ضرورة لصيانة بيئتها ولأداء النشاطات الاقتصادية والاجتماعية اللازمة لاستقرارها ورفاهها. والحقيقية أن فجر حضارة الإنسان ما بزغ إلا بعد أن استقرت المجتمعات عند موارد المياه وامتهن أفرادها الزراعة المروية في بلاد السواد، وفي وادي الأردن ووادي النيل، وربما غيرها من مياه الله الوافرة.

وعلى مستوى الدولة، فإضافةً إلى استجماع المنافع المشار إليها للأفراد والمجتمعات، فإن المياه عامل أساس لخلق

* عقد هذا اللقاء [رقم (٢٠٠٤/١٢)] في مقرّ المنتدى؛ ٢٠٠٤/١٢/١٢.

** المستشار الحالي ووزير المياه والري الأسبق؛ أستاذ شرف في جامعة ولاية أوريغون؛ أستاذ شرف في جامعة أوكلاهوما.

الوظائف التي تتكفل بها الدولة عادة. فهي، أي المياه، تدر الدخل القومي وتؤثر في أنماط توزيعه، ويتسنى بها انتاج السلع والخدمات. وهي بإيجاز الوسيط الذي به يتم تزييت عجلات الاقتصاد الوطني التي تقود إلى الثروة والرفاه والقوة. وتؤثر المياه على وجه الخصوص بأنماط التوزيع الجغرافي للسكان في أرجاء البلاد المختلفة. ففي الخبرة الأردنية، على سبيل المثال لا المحاباة، كان بالإمكان أن تدعم وحدة التدفق المائي (مليون متر مكعب في العام) حوالي ألف شخص في ريف وادي الأردن بالعمل على توفير ١٤٠ وظيفة في الزراعة والخدمات المساندة. فإذا ما عرفنا أن الزراعة في وادي الأردن تستهلك ما معدله ٢٥٠ مليون متر مكعب سنوياً، أدركنا الفائدة من إقامة ربع مليون من السكان في الشريط المتاخم لنهر الأردن، خاصة خلال حقبة المواجهة مع إسرائيل.



وللمياه امتدادات اقتصادية واجتماعية وثقافية وسياسية. فهي توفر الفرص لتعظيم إنتاج الغذاء حيثما هي توفرت، ولزيادة الإنتاج الخدمي والصناعي بالقدر الذي تسمح به محددات الإنتاج التكنولوجية والرأسمالية والبشرية. واستقاءً من البيانات الميدانية في وادي الأردن، فإن التنمية المتكاملة هناك، التي شكلت الزراعة المروية عمادها، عملت على رفع نصيب الفرد في الوادي من الدخل القومي عام ١٩٨٧ إلى المعدل الوطني، بل أعلى منه قليلاً، ووسعت من دور المرأة ونشاطها في الإنتاج والخدمات، وخفضت من معدلات مرض الأطفال ومن معدلات وفياتهم، وزادت من سنوات العمر المتوقع عند الميلاد، وارتفعت بمستويات الثقافة والتعليم للذكور والإناث مما خفض معدلات الأمية. والحديث في تأثيرات المياه واستعمالاتها على الحياة في المجتمعات القبلية يطول ويتشعب. فالتطور الذي شهدته العائلة، والتحول الذي حدث في العادات الاجتماعية، من زواج وإنجاب والمباعدة بين المواليد، حريٌّ بالتدقيق فيه من قبل الخريجين في علوم الاجتماع والسوسيولوجي المتطلعين إلى درجات أكاديمية أعلى.

ولقد ازدادت مشاركة أهالي وادي الأردن في صنع القرار الوطني. فقبل البدء ببرنامج التنمية المتكاملة لم يكن للوادي إلا نصيب يسير في التمثيل السياسي قوامه عين واحدة من الشونة الجنوبية من أعمال محافظة البلقاء، ونائب منها أحياناً. وبعد انتهاء برنامج التنمية المتكاملة وصل عدد نواب الوادي ستة، ودخل الوزارة من الوادي ثلاثة، والأعيان اثنان. ومن جهة أخرى، لم يكن بين سكان الوادي عند بدء البرنامج عام ١٩٧٣ سوى مهندس مدني واحد، أما اليوم فأعداد الخريجين تشرح النفس حتى أصبح بينهم حاملو شهادة الدكتوراه. ولا يخيم على أجواء الأغوار منذ فترة إلا غمامة تراجع الدخول، وعودة جيوب الفقر، ومعدلات البطالة؛ ولكل من ذلك أسبابه الإدارية والسياسية التي هي ليست من موضوع حديثنا هذا المساء.

ومن امتدادات المياه الاجتماعية قضايا العدالة والمساواة، خاصة في مواسم شحها. وللحديث في الخبرة الأردنية نشير إلى أن إدارة العجز في موازنات المياه تتم عندنا بالتقنين والمداورة. ففي الزراعة المعتمدة على المياه

السطحية حيث تدير شؤون ريها سلطة وادي الأردن، يتم التقنين في حصص الوحدات الزراعية مع مراعاة للوحدات الشجرة أكثر من الوحدات المزروعة بالمحاصيل الموسمية، انطلاقا من ضرورة الحفاظ على الأشجار وهي رأسمال لا يستهان به. وتتطابق هذه المراعاة مع ما يخشاه العموم من محاباة لأصحاب المال ذوي التأثير والحظوة؛ إذ إن أصحاب الأشجار هم المقتدرون مالياً، في حين أن معظم أصحاب المحاصيل الموسمية هم أقل من ذلك مالاً وجاها. وكذا الحال في خدمة المياه المنزلية؛ فالأحياء التي يقطنها الموسرون تحظى عادة برعاية بعض الإداريين أكثر مما تحظى به الأحياء الفقيرة. ويصدق القول على ما يتقرر من تخصيص المياه للأغراض المختلفة؛ إذ نرى أن أصوات أهل الحضر تعلو على أصوات أهل المدر، في حين أن أصوات أهل الوبر لا تكاد تلامس الأسماع؛ ونرى تحولاً تدريجياً في تخصيص المياه من أغراض الزراعة، كار أهل المدر وعنوان بقائهم، إلى أغراض الاستعمالات البلدية حيث يسكن الحضر ويكثر المال والسهر. ولا تقتصر هذه الظاهرة على الأردن، بل نشهدها في سورية وفي لبنان، وفي فلسطين والجولان! وبالقدر الذي فيه تعمل وفرة المياه على تعظيم الناتج المحلي الإجمالي، فإن نقصها يعمل على إنقاصه وعلى تقليل الإنتاجية لوحدة المساحة من الأراضي الزراعية، أو وحدة رأس المال المستثمر في الصناعة والخدمات. ويتأثر الإنتاج الزراعي سلباً لا بالإنتاجية فحسب، بل باعتماديته في الأسواق التي يدركها بالتصدير. وينتج عن ذلك تزايد العجز في الميزان التجاري وطلب متزايد على العملة الأجنبية لخدمة المستوردات. وتجد الحكومة نفسها في كثير من الأحايين تنظر في شؤون المزارعين بغية التخفيف من غلواء مؤثرات نقص المياه، فتعمل على إعادة جدولة ديونهم، وإعفاء بعضهم من سدادها أو من أداء فوائدها على حساب سلامة أداء مؤسسة الإقراض الزراعي، وسمعة الأداء الحكومي القاضي بالتخلي عن سياسات الدعم.

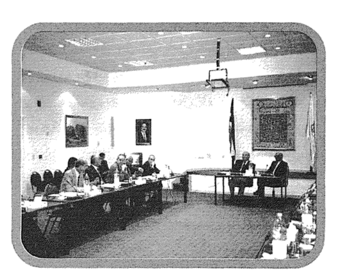
فليس مستغرباً، والحالة هذه، أن نرى الانشراح في صدور العامة والبشاشة في محياهم كلما جادت السماء بانهمار الأمطار التي يسميها أهل المدر «الغيث». فالغيث العميم هو آلية توزيع الثروة الطبيعية على العموم بخلاف المنافع التي تعطيها عين ماء أو جدول رقراق على سبيل المثال، إذ في حالتيهما تقتصر الفائدة منهما على أصحاب الحقوق فيهما مع الحفاظ على حق طارقي السبيل بالارتواء وإرواء ماشيتهم.

وللمياه كما أسلفنا امتداد ثقافي؛ إذ هي عامل الاستقرار للمجتمعات ورفاهها. وبهذا الرفاه يزخر الإنتاج الثقافي عادة من آداب وفنون، وتتقدم العلوم وتتطور العادات بحيث يصبح المجتمع أكثر ديناميّة. وتطبع المياه خصائص الفنون والآداب؛ إذ ترى شعر الحضارة على سبيل المثال أزخر بمعاني الفرح من شعر البداوة رغم قول المتنبي ذي الشعر الحضري والحضاري:

حسن الحضارة مجلوبٌ بتطرية
وفي البداوة حُسْنٌ غير مجلوب

وللمياه في الجانب الثقافي معان مهمة في بعده الديني. ففي المسيحية يدخل الفرد في عدادها بعد العماد، وفيه يغمر





المنوي إدخاله الدين في حوض ماء. ويعيش الصائبة بالقرب من مجاري المياه ومستقراتها. وفي الإسلام يغسل الوليد بعيد ولادته، ثم إن ركنا من أركان الإسلام قوامه استعمال المياه للوضوء قبل كل من الصلوات اليومية الخمس إلا إذا شح وجودها أو لم تتوفر، فيستعاض عن وضوء المياه بالتيمم. وتتناول أحكام عديدة في الشريعة أوضاع المياه وشؤونها.

ونترك المنافع والحديث فيها لنتطرق إلى المخاطر التي تحيق بالمياه والتي قد تسببها المياه. وتتصدر قائمة المخاطر تلك المخاطر البيئية التي يلحقها الإنسان بالمياه التي هي عماد وجوده ورفاهه، مما يذكرنا بقول أبي الطيب المتنبي:

مشبٌ الذي يبكي الشباب مشيبه
فكيف توقيه وبانيه هادمُهُ

وأهم مصادر التلويث آليات إدارة المياه العادمة من جور امتصاصيّة ومحطات معالجة، وما تجرفه السيول في شوارع المدن من ملوثات إثر أول هطول للأمطار، وما تلقي به المصانع والمسالخ من مخلفات سائلة في مجاري المياه، وكلها مخاطر تحدق بديمومة صلاحية موارد المياه المتأثرة بها. ومصادر التلويث منتشرة في الأراضي الزراعية بما يستعمله الإنسان فيها من أسمدة بأنواعها ومبيدات، وما تخلفه فيها الماشية، إذ تتسرب هذه الملوثات إلى المياه الجوفية، أو تجرها المياه السطحية معها إلى السدود وأماكن الاستعمال. وهناك مخاطر التلوث الزراعي والتملح في الحالات التي تستعمل فيها أحواض المياه الجوفية لري الأراضي الزراعية في مناطق تموين هذه الأحواض بالمياه.

والأمثلة على المخاطر البيئية هذه عديدة ومنتشرة في بلدان الشرق العربي وشمالي أفريقيا. ففي الأردن نرى محطة الخربة السمرا ماثلة للعيان، وهي ليست الوحيدة، ونرى الري في حوض الضليل وحوض الجفر ما ألحق التملح في مياههما. وفي سوريا جف بردى والأعوج وحلت محلهما المياه العادمة غير المعالجة لري الغوطة، وأصبح صوت شوقي صدى، بل أثراً بعد عين، لقوله:

سلامٌ من صبا بردى أرقُ
ودمع لا يكفكف يا دمشق

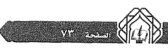
وقوله

جرى وصفق يلقانا بها بردى
كما تلقاك دون الخلد رضوان

دخلتها وحواشيها زمردة
والشمس فوق لجين الماء عقيان

أما الخطر الداهم الآخر فهو فعل الإنسان بالمياه الجوفية وضخه منها كميات تفوق طاقات خزاناتها التوازنية، ولا يخلو أي من بلدان العرب من هذه الظاهرة، والأردن واحد منها.

والنوع الثالث من المخاطر مصدره خارجي، وأعني به تصرف بعض الأطراف المتشاطئة على مجاري المياه الدولية أو المشتركة في خزانات المياه الجوفية، إذ قد يقوم البعض منهم بتلويث مجاري المياه، كماهو عليه الحال في



وادي الزيدي أحد روافد اليرموك، حيث تلقى المياه العادمة لمدينة درعا، أو قد يقوم بالسحب من المياه المشتركة أكثر مما تم تخصيصه له، كما هو الحال في نهر الأردن العلوي وروافده، حيث تستأثر إسرائيل بأنصبة كل من سوريا وفلسطين ومعظم نصيب لبنان، وكما هو الحال على نهر اليرموك وما كان من تصرف الشريك السوري حياله.

ويقودنا هذا إلى الحديث في الامتداد السياسي والأمني للمياه. ففي بلاد العرب أنهر دولية يشترك في كل منها أكثر من دولة أهمها شط العرب وروافده القارون ودجلة والفرات ونهر العاصي والأردن والنيل والسينغال، ولا توجد لأي منها اتفاقات شاملة بين أصحاب الحقوق فيها. فهناك حصراً اتفاق بين سوريا والعراق دون تركيا على نهر الفرات، وآخر بين لبنان وسوريا دون تركيا على نهر العاصي، وثالث بين الأردن وسوريا على نهر اليرموك دون فلسطين وإسرائيل، ورابع بين الأردن وإسرائيل على اليرموك دون فلسطين وسوريا وبين الأردن وإسرائيل على الأردن السفلي دون فلسطين، ولا توجد اتفاقات على الأردن العلوي بين أطرافه. كما أن هنالك اتفاقاً ثنائياً بين مصر والسودان على نهر النيل دون سائر المتشاطئين الثمانية الآخرين، على أن هنالك جهوداً بوساطة البنك الدولي لجمع شمل جميع المتشاطئين على النيل تحت مظلة اتفاق موحد، وما زالت الجهود جارية.

وهنالك بالطبع حاجة لتنظيم شؤون هذه الأحواض السطحية وإدارتها. كما أن هنالك حاجة ملحة للبدء في تنظيم شؤون الخزانات الجوفية المشتركة؛ إذ لا تخلو المناطق الحدودية بين أي بلدين اثنين من بلاد العرب وجوارهم من العجم من خزانات جوفية مشتركة، وليس بين أي دولتين جارتين اتفاق لاستغلال الخزانات الجوفية المشتركة وإدارتها. ويعقد هذا التحدي ضرورة احتساب رصيد المياه التي تخزنها التربة السطحية من مياه الأمطار جزءاً من نصيب الأقطار المتشاطئة.

ولست من المؤيدين لادعاءات حروب المياه. فالمياه بإفرادها لا يمكن أن تشعل حرباً؛ إذ من طبيعة المياه إطفاء الحرائق وليس إشعالها. وقد انطلقت الأصوات من الولايات المتحدة عام ١٩٨٦ تدعي أن الحرب القادمة في الشرق الأوسط إذ ذاك ستكون بسبب المياه، وكانت المنطقة وقتها تئن من وقع الحرب العراقية الإيرانية التي لم تكن بسبب المياه، بل بسبب من مخاوف تصدير الثورة الإسلامية من إيران. ثم كان احتلال العراق للكويت وما تلاه من حرب زوبعة الصحراء، ولم يكن ذلك بسبب المياه بل بسبب النفط. وكانت الحرب الفلسطينية الإسرائيلية، ولم تأت بسبب المياه بل للأسباب التي نعرفها جميعاً. وانتهى الأمر في منطقتنا بحرب ضروس شنتها الولايات المتحدة وبعض من أتباعها على العراق، ولا يستطيع أحد إقناعي أن اندفاع الدروع الأمريكية عبر صحراء الجنوب العراقي باتجاه الناصرية والنجف ثم بغداد كان بسبب الأطماع الأمريكية في مياه الفرات أو دجلة. وقد شط بعض المحللين في هذا الصدد في شرح أسباب حرب حزيران/يونيو لعام ١٩٦٧ وزعموا أنها كانت حرب مياه، وهي لم تكن كذلك. فمشروع تحويل



الحاصباني وبانياس كان قد توقف عام ١٩٦٦ قبل الحرب بسبب ما ادعته أطرافه من نقص في التمويل؛ والحقيقة أنه كان نقصاً في حماية المشروع. وما كان إلا سد المخيبة يجري العمل فيه، ولم تكن إسرائيل تعترض عليه لأنه كان سيفيدها باستثنائه مياه الحمة والمخيبة من التحويل. وقد توصلت بالبحث الدقيق أن شرارة الحرب أشعلتها مصر بسحب قوات الأمم المتحدة من سيناء وإغلاق مضائق تيران.

لا أقصد التقليل من أهمية دور المياه في النزاعات بين الجوار. فأهميتها الاستراتيجية التي أسلفنا تبرر حرص كل طرف على الاستئثار بأقصى نصيب من المياه المشتركة، وللدور التاريخي للمياه شواهد على أهميتها الاستراتيجية.

ولا بد قبل استعراض ذلك الدور التاريخي من التنويه إلى المخاطر الطبيعية التي تأتي بها المياه وأهمها أمران: الأول رئيس في بلداننا، وهو الأمراض التي تحملها المياه أو تهيء البيئة لها كالبلهارسيا والملاريا. أما الثاني فقد أجمعت دولنا على تفاديه، وأعني به خطر الفيضانات. فعلى القارون أقامت إيران سدوداً للري والطاقة الكهربائية قللت كثيراً من مخاطر فيضاناته. كما أقامت تركيا على روافد دجلة العليا سدوداً للري والطاقة الكهربائية، وأقام العراق سدوداً على روافده داخل العراق وعليه بالذات، بالإضافة إلى منخفض الثرثار وربطه بنهر الفرات. أما سدود الفرات فحدث عنها ولا حرج، إذ عليه من الطاقة التخزينية ما هو كفيل بحجز مياه النهر لثلاث سنوات. وعلى العاصي سد الرستن. وعلى الأردن بحيرة طبريا وعلى روافده سدود أقامها ويقيمها الأردن. أما النيل فيكفيه السد العالي ذو الطاقة التي توازي ضعف تصريف النهر، تساعده في ذلك بحيرة فكتوريا وسدود على روافده في السودان، وكذلك سد أسوان داخل مصر، وسيتكفل مشروع دوشكا بابتلاع ما قد يفيض من السد العالي في السنين الخيرة.

والمخاطر الأمنية التي قد تجلبها المياه جدية للغاية، ولها في تاريخ المنطقة أثر وآثار يعود بعضها إلى العام ١٠٦ قبل ميلاد المسيح حين أخضع الامبراطور الروماني الفاتح تراجان عاصمة الأنباط. ولم يتسن له اقتحام البتراء المحصنة إلا باكتشافه مورد المياه الذي يغذيها ومسار تلك المياه، فقطعها واستسلمت المدينة. والبتراء هي مدينة سَلْع عند العرب، ولا يجري اسمها على لساني دون أن أتذكر قول تأبط شراً:

إنّ في الشِعْبِ الذي دون سَلْعٍ
لقتيلاً دمــــــه ما يُطَلّ

خلّفَ العــبءَ عـليّ وولّى
أنا بالـعبء لــــه مستقِلّ

ووراء الثــأر مني ابنُ اخت
مَصِعٌ عقدتـه مـــا تُحلّ

مُطرقٌ يرشَحُ سُمّاً كمـــا
أطرق أفعى ينفث السم صلّ

ولم يبلغ العراق مبلغه ولا مصر مكانتها لولا مياه الرافدين للأولى ومياه النيل للثانية؛ إذ تشكلت حضارات ما بين النهرين السومرية والأكدية والآشورية والبابلية بفضل الرافدين، وتشكلت حضارة الفراعنة بفضل النيل، تلاها مساهمات الإغريق والرومان والبيزنطيين هناك. كما أن لوادي الأردن والفرات العلوي نصيب فريد في رفد الحضارة الإنسانية بفضل المياه فيهما.

ولم يبلغ العراق ما بلغه شأواً في الفتوحات العربية إلا بفضل ثروته التي وفرتها المياه. ويعود الفضل في ذلك لإدارة الحجاج بن يوسف، ذاك الفتى الثقفي المعجزة الذي أدخل التنقيط على لغة القرآن، وأصلح ما أعطبته

السنون والإهمال من أنظمة الري والصرف لبلاد السواد، فاستصلحت الأراضي وزادت الدخول وازدادت الدولة قوة ومنعة. ثم وجه جيوش الفتح شرقاً إلى بلاد السند بقيادة محمد بن القاسم، وإلى الشمال الشرقي إلى بلاد ما وراء النهر بقيادة قتيبة بن مسلم في الوقت الذي وجه جيشاً لمحاربة الخوارج بقيادة المهلب بن أبي صفرة، وأخمد ثورة قادها عبد الرحمن بن الأشعث في معركة دير الجماجم. ودانت شمال شبه القارة الهندية وآسيا الوسطى حتى سور الصين للخلافة في دمشق بفضل ثروات العراق (ولم يكن النفط من بينها)، وبفضل حنكة القائمين عليها.

وماذا نشهد في عصرنا الحديث من امتداد أمني للمياه؟

نرى المحتلين لفلسطين وجنودهم يستهدفون خزانات المياه على المنازل الفلسطينية برصاصهم لزيادة معاناة الأهالي وكسر صمودهم قبل اجتياحها، ولنقص الماء فعل أفتك من فعل القنابل، ذلك كله وسط صمت للعالم مريب.

نرى معاناة أهل العراق من نقص المياه، ورأينا كيف قطع المحتلون مياه الشرب عن الفلوجة قبل اقتحامها.

ولا نرى أن المحتلين لفلسطين والعراق، على اختلاف أعراقهم والتقاء أهدافهم، يعيرون وزناً لاتفاقية جنيف الرابعة الخاصة بحماية المدنيين وقت الحرب والحفاظ على مقدرات البلاد المحتلة.

فهل نحن بحاجة، في ضوء اختلال معادلة الموارد المائية والسكان في بلداننا، وبالنظر إلى الحروب التي خاضتها وتخوضها أجيال العرب منذ مطلع القرن العشرين، إلى الاتفاق على إعلان جديد قوامه ميثاق للمياه، أو ميثاق للمياه والطاقة، تتبناه أقطار الشرق العربي وشمالي أفريقيا؟ والجواب عن هذا التساؤل في نظري هو نعم، بالتأكيد. ويقودني الجواب إلى ما طرحه سمو رئيس منتدى الفكر العربي الحسن بن طلال من حاجة لإقامة «مجموعة المياه والطاقة» في هذه المنطقة وما جاورها، تشبهاً بمجموعة الفحم والحديد في أوروبا التي أقيمت بعد الحرب العالمية الثانية والتف حولها أعضاء ما لبثوا أن أقاموا السوق الأوروبية المشتركة، ثم المجموعة الأوروبية، فالاتحاد الأوروبي. فإذا كانت هذه النتائج الإيجابية لحربين اثنتين دمرتا أوروبا، فقد عصفت بمنطقتنا حروب عدة منذ عهود الاستقلال دمرت البلاد وأهانت العباد وشتتت شملهم. فلعل مجموعة مماثلة للمياه والطاقة تكون بداية عملية نفض بها النزاعات سلمياً وتتضافر الجهود للتعاون والنماء. ولعل في مشروع التطوير التكاملي لأخدود وادي الأردن مدخلاً لإقامة المجموعة المبتغاة؛ إذ يشترك في حوض الأخدود سبع دول لو نجحت في التعاون فيما بينها في حقبة السلام لأرست أساساً لانطلاق التعاون الإقليمي في شتى المجالات. وليس أمام دول المنطقة مزيد من الوقت لإهداره. فلتكن دعوة أمير الفكر منطلقاً لفتح آفاق جديدة تعوض فيها الأجيال الجديدة ما فات جيلنا وجيل آبائنا من وسائل العيش الرغيد في وطن كريم عتيد.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

■

جولة العدد جولة العدد جولة العدد

جولة العدد جولة العدد جولة العدد

جولة العدد جولة العدد جولة العدد



بيـــان صحـافيّ

شركاء في الإنسانيّة

صادر عن مجلس الحسن
«مكتب سموّ الأمير الحسن بن طلال» *

في حديث أدلى به سموّ الأمير الحسن بن طلال مؤخّرًا، قال: «تعدّ أمواج تسونامي التي ضربت جنوب آسيا أكبر كارثة إنسانيّة في تاريخنا الحديث. ومما يزيد من هول الحدث وفظاعته أنّه لو أخذ في حينه بتوصيات تقرير صدر منذ سبعَ عشرةَ سنة لقلّت أعداد ضحايا الكارثة وأضحت المصيبة أخفّ وطأة وتأثيرا.»

«فمن ضمن الموضوعات التي تطرّق إليها التقرير الصّادر عن اللجنة الدوليّة للقضايا الإنسانيّة العالميّة، التي شاركتُ في رئاستها، الخطة الاسترشاديّة لإدارة الكوارث. وقد أشرنا فيها إلى أنّ المجتمع الدولي قد فشل في وضع منهج قابل للتطبيق من أجل التعامل بنجاعة مع الأبعاد الإنسانية للكوارث.»

«وبعد سبعَ عشرةَ سنة ما زال الحالُ على ما هو عليه؛ فالتّقرير الذي نشر تحت عنوان «**هل تكسب الإنسانيّة معركتها؟**» بقي مدرجاً على جدول الأعمال السنويّ للجمعية العمومية للأمم المتحدة للنّظر فيه!»

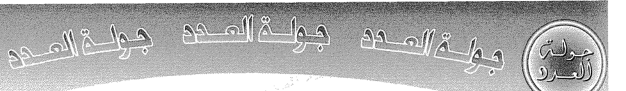
«وقد أنجزَ التقرير مجموعةٌ من الأشخاص ينتمون إلى تسعة وعشرين بلداً تمثّل جميع مناطق العالم. ويبقى هذا التقرير في موضوعه واحدا من أكثر التقارير عمقا وشموليّة.»

«دعا التقرير إلى وضع أطر وطنيّة لإدارة الكوارث. وتختلف الهزات الأرضيّة، وأمواج المد، والفياضانات، والانبعاثات البركانيّة، والانزلاقات الأرضيّة عن غيرها من الكوارث كونها فوريّة وتنتج عن قوى مُناخيّة أو جيولوجيّة. إنّ مستوى التّدمير الذي تحدثُه هذه الكوارث، كتلك التي وقعت في المحيط الهنديّ، يعتمد بدرجة أكبر على عدد الناس الضعفاء المعرّضين للتأثر بها في منطقة معينة منه على حدّة هذه الكوارث وشدّتها. وفي كثير من أنحاء العالم تزيد الأخطاء البشريّة من الدّمار الذي تسبّبه الكوارث. فعلى سبيل المثال، إنّ الأشخاص الذين يقطنون مباني ضعيفة الإنشاء هم الأكثر هشاشة أمام هذه الكوارث الطبيعية.»

«لذلك، فإنّني أدعو المجتمع الدوليّ مرة أخرى إلى تطبيق توصيات هذا التقرير بالسرعة المكنة.»

«إنّ فقدان الحياة مأساة بحدّ ذاته. وسيكون الأمرُ أكثر مأساويّة إذا أخفقَ المجتمع الدوليّ في تعلّم الدروس المستقاة من الكوارث التي حصلت والتي تتعلق بكيفية إدارتها بصورة أفضل.» . . . ■

* سموّ الأمير الحسن بن طلال، رئيس منتدى الفكر العربيّ وراعيه، هو أيضاً رئيس المكتب المستقل للقضايا الإنسانيّة، ومنسّق منظّمة المؤتمر العالميّ للأديان من أجل السّلام، ورئيس نادي روما.



الندوة السّنويّة لمنتدى الفكر العربيّ

«الوسطيّة بين التّنظير والتّطبيق»*

مملكة البحرين ؛ ٢٧ – ٢٨ شباط/ فبراير ٢٠٠٥

برنـامج العمـل

[الخطوط العريضة]

اليوم الأوّل: الأحد ٢٠٠٥/٢/٢٧

٩:٣٠ – ١١:٠٠	**الجلسة** الافتتاحيّة
١١:٠٠ – ١١:٣٠	**استراحـة**
١١:٣٠ – ١٤:٠٠	**جلسة العمل الأولى: «الوسطيّة: المفاهيم والأفكار»**
١٢:٠٠ – ١٤:٠٠	مناقشـة
١٤:٠٠ – ١٦:٣٠	غـداء حُـرّ
١٦:٣٠ – ١٩:٣٠	**جلسة العمل الثّانية: «مفهوم الوسطيّة في الإسلام»**
١٧:٠٠ – ١٨:٠٠	مناقشـة
١٨:٠٠ – ١٨:٣٠	استراحـة
١٨:٣٠ – ١٩:٣٠	متابعة المناقشـة
٢٠:٣٠	عشـاء

اليوم الثّاني: الإثنين ٢٠٠٥/٢/٢٨

١٠:٠٠ – ١٣:٣٠	**جلسة العمل الثّالثة: «فلسفة الوسطيّة»**
١٠:٣٠ – ١١:٠٠	استراحـة
١١:٠٠ – ١٣:٠٠	مناقشـة
١٣:٠٠ – ١٥:٠٠	غـداء حُـرّ
١٥:٣٠ – ١٨:٠٠	**جلسة العمل الرّابعة مائدة مستديرة**
١٨:٠٠ – ١٨:٣٠	استراحـة
١٨:٣٠ – ١٩:٣٠	**الجلسة الختاميّة**
٢٠:٣٠	عشـاء

الاجتماع السنويّ السّابعَ عشرَ للهيئةِ العموميّة

الثلاثاء ١ آذار/ مارس ٢٠٠٥

* سنوافي قارئنا العزيز بتقرير وافٍ عن هذه الندوة في عددنا القادم.

مراسلات



مـنـتـدى الفكر العربي
عـمّـان



ARAB THOUGHT FORUM
AMMAN

Ref
Date

الرقم م أ/٨٧/٧/
التاريخ ٢٠٠٥١٢٧

حضرة الأخ الكريم الأستاذ أسامة الشريف حفظه الله
رئيس تحرير الدّستور
ناسوخ (فاكس): ٥٦٨٤٤٧٨
عمّان

تحيّة المودّة والتقدير، وبعد،

فيَطيبُ لي أنْ أشكُرَكم مرّةً أخرى على حُسن استقبالكم لي يوم الثّلاثاء الموافق ٢٠٠٥/١/١٨. كما يُسعدني أنْ أكرّرَ تقديري العميق وتقديرَ زُملائي في منتدى الفكر العربيّ لصحيفتكم الغرّاءَ، ولما تبذلونه من جهودٍ دؤوبةٍ في سبيل ازدهارها وارتقائها دوماً.

وكما أنهيْتُ إليكم في ذلك اللّقاء، فإنّنا في المنتدى نُعدُّ الآن العُدّة لإصدار سلسلةٍ من الكُرّاسات التي تهدفُ إلى توضيح بعض القضايا المعاصِرة للقارئ العام بأسلوبٍ مبسّطٍ غير مُخلّ وبصورةٍ جذّابة شكلاً ومضموناً.

وطَمعاً في الوصول إلى أكبر عددٍ ممكن من القُرّاء، فقد أبديْتُ لكم أملي في أنْ توافقوا على نشرِ مادّة هذه الكُرّاسات على شكل صفحاتٍ في **الدّستور** – مثلاً في ملحق الجمعة – بحيث يستطيع القارئ، إنْ أراد، أنْ ينتزعَ هذه الصّفحات للاحتفاظ بها. وفي الوقت نفسه، نستطيع أن ننشُرَ الكرّاسات بطبعةٍ مستقلّة (بحدود ١٠٠٠ نسخة) للتّوزيع على غرارِ إصداراتِنا الأُخرى.

وغنيٌّ عن القول إنّ هذا يقتضي أنْ نعرضَ عليكم مادّة كلّ كرّاسة مُقدّماً، وأن نُنسّقَ موْعدَ النّشر عندكم كي يتزامنَ مَعَ تاريخِ إصدارِ الكُرّاسة.

هذه هي الفكرة؛ ونستطيع أنْ نناقشَ فيما بعد، إن رغبتم، أيّة تفصيلات لها عَلاقة بتنفيذها.

ومن المتوقّع أن نُعدّ عدداً محدوداً من هذه الكرّاسات كلّ سنة (في المتوسّط: أربع كرّاسات). وأوّل الغيْث الكرّاستانِ الآتيتان:

١ – الحسن بن طلال: **ثلاث رسائل مفتوحة إلى الشّباب العربي؛**
٢ – كمال القيسي: **حقائق عن النفط؛**

علماً بأنّ مادة الكرّاسة الأولى جاهزةٌ تماماً، وأنّ مادّة الكرّاسة الثّانية ستكون جاهزةً في وقتٍ قريب.

وإذ آملُ أنْ تتكرّموا بالموافقة على هذا الاقتراح، فإنّني أُرحّبُ بأيّ أفكارٍ واقتراحاتٍ مُعدّلة ترغبون في مناقشتِها.

أسألُ الموْلى العليّ القدير أن يحفظَكُم ويرعاكُم، وأنْ يُسْبغَ المزيدَ عليكم وعلى الدّستور العزيزة المزيدَ من آلائِه.

وسلمتم،،،

أ. د. هُمام غَصيب
مدير إدارة الدّراسات والبرامج

مراسلات

الدّستور
AD-Dustour
يومية سياسية
ARABIC DAILY
الرقم: ت/٤٦٢٧
التاريخ: ٢٠٠٥/٢/٦

سعادة الأستاذ الدكتور همام غصيب المحترم
مدير إدارة الدراسات والبرامج
منتدى الفكر العربي
عمان

تحية طيبة،

وبعد

إشارة الى كتابكم رقم م أ/٨٧/٧/١ تاريخ ٢٠٠٥/١/٢٧ والى زيارتكم الكريمة يوم ٢٠٠٥/١/١٨ والى عرضكم الكريم بأن تنشر الدستور عبر ملاحقها التي تصدر أيام الجمعة سلسلة من الكراسات الهادفه الى توضيح بعض القضايا المعاصرة للقارىء بأسلوب مبسط وبصورة جذابة شكلا وموضوعاً .

يسعدني إعلامكم إنه وبعد التشاور مع إدارة الشركة، أن تنشر تلك الكراسات في ملحق الجمعة الثقافي، بحيث لا يتعدى ذلك أربع كراسات في العام. ويمكن المباشرة من الكراس الأول ليتزامن مع الاجتماع القادم للجمعية العامة القادم والذي سيعقد في المنامة / مملكة البحرين في نهايات الشهر الحالي. ونقترح يوم النشر ليكون يوم الجمعة ٢٠٠٥/٢/٢٥ .

أما الكراسات نفسها، فيجب أن تكون طباعتها على نفقة المنتدى، ونأمل أن تنفذ في مطابع الدستور التجارية ، ونرجو أن يشار الى انها منشورة في جريدة الدستور بتعاون خاص.

أرجو ان يثمر تعاوننا هذا، ويؤدي الى فائدة القارىء الاردني العربي في كل مكان. ونشكر لكم اختيار جريدة الدستور لهذا التعاون مع منتدى الفكر العربي.

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام والتقدير .

أسامة الشريف
رئيس التحرير المسؤول

لجنة الإدارة
(٢٠٠٥/٢/٧)

نسخة/ عطوفة الأستاذ المدير العام- اشارة الى اتفاقنا
نسخة/ الملف العام

الشركة الأردنية للصحافة والنشر JORDAN PRESS AND PUBLISHING CO.
ص.ب: ٥٩١، عمان ١١١١٨، شارع الملكة رانيا العبدالله، الأردن، هاتف: ٥٦٠٨٠٠٠(٩٦٢٦+) ، فاكس: ٥٦٦٧١٧٠
P.O.Box: 591, Amman 11118, Queen Rania St. JORDAN



من ذاكرة المنتدى

الندوات (الحوارات العربيّة الأوروبيّة) التي عقدها منتدى الفكر العربيّ بالتعاون مع منتدى برونو كرايسكي في الفترة ١٩٩٥ - ٢٠٠٤

■ «التنمية، والسّياسة الخارجيّة، والديمقراطية»	عمّان	١٠-١٩٩٥/١٢/١١
■ «برشلونة بعد مضيّ عام: الحاجة إلى الاستقرار والتحوّل»	فيينا	٢٣-١٩٩٦/١٠/٢٤
■ «دور المنظّمات غير الحكومية في تطوير المجتمع الأهليّ: أوروبا والأقطار العربيّة»	عمّان	٦-١٩٩٧/١٢/٧
■ «نظام التّجارة في منظمة التجارة العالميّة: مراجعة وإصلاح»	فيينّا	٦-٢٠٠١/٥/٧
■ «أوروبا والمِنطقة العربيّة: علاقة جديدة؟!»	البتراء - الأردنّ	٢-٢٠٠٤/١٠/٣

نعـي فـاضل

تنعى أسرة **منتدى الفكر العربي** بمزيد من الحزن والأسى

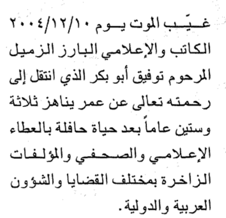
الأستاذ خـوجـلي أبـو بكـر

عضـو المنتدى

وتتقدم من عائلته وعموم آل أبو بكر الكرام بأصدق مشاعر العزاء والمواساة؛ سـائلـةً المولى العليّ القدير أن يتغمد الفقيد بواسع رحمته ويسكنه فسيح جنانه.

إنّا لله وإنا إليه راجعون

توفيق أبو بكر في ذمّة الله



غـيّـب الموت يـوم ٢٠٠٤/١٢/١٠ الكاتب والإعلامي البارز الزميل المرحوم توفيق أبو بكر الذي انتقل إلى رحمته تعالى عن عمر يناهز ثلاثة وستين عاماً بعد حياة حافلة بالعطاء الإعلامي والصحفي والمؤلفات الزاخرة بمختلف القضايا والشؤون العربية والدولية.

والفقيد مدير مركز جنين للدراسات الاستراتيجية، وكاتب مميز في جريدة **الدستور** لعشر سنوات خلت؛ فضلاً عن كونه عضواً في المجلس الوطني الفلسطيني، وهو باحث مرموق، وخريج الأدب العربي في جامعة دمشق عام ١٩٦٦، وحائز جائزة الصحافة العربية من مؤسسة الاتحاد الأوروبي عام ٢٠٠٣. وقد أصدر الراحل أبو بكر مؤلفات عدّة أبرزها: **فلسطين والعالم**، في عام ١٩٧٧ من جزءين، و**الولايات المتحدة والصراع العربي الصهيوني**، طبعتان عام ١٩٧٨، و**الصهيونية وإسرائيل**، و**الفلسطينيون في الكويت ١٩٣٦-١٩٩٠** و**أزمة الخليج**، و**الصحافة العربية وحقوق الإنسان**؛ فضلاً عن إصدار الكثير من الموضوعات الصحافية والسياسية العربية، ومنها: قضايا الإصلاح في الساحة الفلسطينية، والصحافة العربية وحقوق الإنسان، وموسوعة المصطلحات والتعبيرات الشعبية الفلسطينية، ٢٠٠١.

تغمد الله الفقيد الراحل بواسع رحمته ورضوانه وألهم آله وذويه الصبر والسلوان.

نعي كاتب وإعلاميّ بارز

تنعى أسرة **منتدى الفكر العربي** بمزيد من الحزن والأسى

الكاتب الصحافيّ، مدير مركز جنين للدراسات الاستراتيجية

أ. توفيق أبو بكر

عضو المنتدى

وتتقدم من عائلته وعموم آل أبو بكر الكرام بأصدق مشاعر العزاء والمواساة؛ سائلة المولى العليّ القدير أن يتغمد الفقيد بواسع رحمته ويسكنه فسيح جنانه.

إنّا لله وإنا إليه راجعون

إلى الرّاحل الكبير

هشام الشّرابي

نمْ قريرَ العيْن في جنّات الخُلد.

فعطاؤك الفكريّ المتألِّق سيبقى لناجميعاً مَعيناً لا ينضب .

رحمك اللّه رحمةً واسعةً.

أسرة منتدى الفكر العربيّ

كُتّاب هذا العدد

د. مهنّد مبيضين
أستاذ مساعد في التاريخ والحضارة
جامعة فيلادلفيا
هاتف : ٧٩٥١٦٢١١٤ (٦-٩٦٢+)
فاكس : ٦٣٧٤٣٦٦ (٦-٩٦٢+)
عمّان - الأردنّ
كاتب في جريدة الغد

د. حمد بن عبد الله الريامي
عضو مجلس أمناء المنتدى
ص.ب ٥٢٠ سلطنة عُمان ١١٣
خلوي ٩٣٢١٢٩٠ (٩٦٨+)
فاكس العمل: ٧٤٤٣٠٦ (٩٦٨+)
بريد الكتروني:
alatheer@omantel.net.om

آغا شاهي
رئيس معهد الدارسات الاستراتيجية
إسلام أباد

ممدوح أبو دلهوم
كاتب صحافيّ،
جريدة الرأي الأردنية
ص.ب ٢٣٠١٥٢
الرمز البريدي ١١١٢٣
هاتف : ٥٠٥٦٢٣٤ (٦-٩٦٢+)

صدور العدد الأول من مجلة «حـــوار العـــرب»

حــوار العــرب مجلة فكرية ثقافية شهرية تصدر عن **مؤسسة الفكر العربي**

رئيس التحرير: الدكتور محمد الرميحي

مدير التحــرير: أحمد فرحات

المدير المسؤول: جوزف فاضل

المحتويـــــات

السنة الأولى/ العدد (١)

ديسمبر (كانون الأول) ٢٠٠٤

1



السنة الأولى/ العدد ١ — ديسمبر/كانون الأول ٢٠٠٤

المسار النضالي الفلسطيني بعد غياب عرفات

لماذا فاز جورج بوش بولاية رئاسية ثانية؟

الفدرالية في العراق.. صيغة وحدة أم صيغة شرذمة؟

الحراك الديمقراطي ومستقبله في الخليج

الحوار مع الغرب: الهجرة والغزو

محور خاص

الإصلاح السياسي

مقدمات ونتائج

عمرو موسى: أشارك كل عربي تشاؤمه بمستقبل الأمة

«والمجلة تحاول أن تقدم على صفحاتها ما يسميه البعض «فقه الموازنات». فلكل قضية مطروحة على العرب مجموعة من الحلول قد ينتفع بها هذا المجتمع العربي أو ذاك. والجهد لا بد أن ينصرف للبحث عن تلك الحلول التي تنتفع بها أغلب المجتمعات العربية. إنها الضوء الذي ينير الطريق. وكم تغيّر حدث في العالم نتيجة فكرة، صائبة هي كانت أم خاطئة».

د. محمد الرميحي

رئيس التحرير

العناوين والمراسلات: ص.ب ٥٢٤ - ١١ - بيروت - لبنان؛ هاتف ٩٩٧١٠٠ (١-٩٦١) - فاكس: ٩٩٧١٠١ (١-٩٦١)

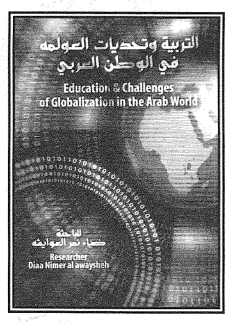
E-mail: hewar@arabthought.org



التربية وتحديات العولمة في الوطن العربي

تأليف: ضياء نمر حمد الله العوايشة

يتكون الكتاب من ستة فصول، كل فصل فيه يحوي ثلاثة مباحث هدفها تسليط الضوء على الظاهرة (موضوع الدراسة). تناول الفصل الأول منه تحت عنوان «مفاهيم عامة» تعريف التربية والعولمة وطبيعة التربية وأهدافها. أما الفصل الثاني بعنوان «العولمة أبعاد وتحديات وثقافة»، فقد تناول بمباحثه الثلاثة الأبعاد السياسية والاقتصادية لهذه الظاهرة، وأهم التحديات التي تواجهها، ودور الثقافة في مجال العولمة.

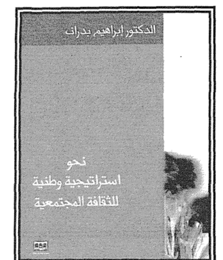


دور العولمة من حيث عواملها الإيجابية والسلبية، بالإضافة إلى التطرق للطرح الذي قدمه المفكر العربي السيد مطاع الصفدي وتناول فيه استراتيجية العولمة والثقافة ودور التربية. وأخيراً تناول الفصل السادس الحلول المقترحة، وآليات العمل المستقبلية، وكيفية مواجهة العولمة. ويتضمن الكتاب رؤيتي الشخصية بصفتي باحثة في هذه الدراسة، مع طرح تحليلي يتضمن مخطط رسم بياني فيه خطوات العمل المستقبلية لهذه الرؤية.

جاء الفصل الثالث بعنوان «ما بين العولمة والتعلم»، وتم فيه طرح الموضوعات الآتية: العولمة والمجتمع، والتعليم الآمن في عصر العولمة، وكيف يكون الإبداع في عصر العولمة. وكان عنوان الفصل الرابع «التربية والقيم الإنسانية في القرن الحادي والعشرين». وهو يتناول بالتحليل والدراسة دور التربية والقيم الإنسانية في عصر العلم والثقافة، ودورها كمتغير في القرن العشرين، وكذلك الحصاد العلماني في مجال التربية والتعليم. أما الفصل الخامس ففيه استشراف لمستقبل فلسفة التربية العربية وتحدياتها للعولمة، إذ يتناول المستقبل مصطلحاً ومفهوماً، ودور الثورة التكنولوجية وربطها بالواقع والطموح، مع التركيز على

وأهم ما في هذه الدراسة المكثفة هو اتباع المنهج التحليلي في تقديم الموضوعات المدرجة في قائمة الكتاب وتحليلها، مع تسليط الضوء على الجانب التاريخي، حيث أن الموضوع كان له أصول قيمة، لكنه يعتبر من أحدث الموضوعات بسبب الأوضاع القائمة في المنطقة، والتي تشكل التحدي الأكبر. أما حدود الدراسة فكانت تشمل الوطن العربي في الفترة ما بين ١٩٩٠-٢٠٠٢. وتتلخص مشكلة الدراسة في: كيف تستطيع التربية في الوطن العربي أن تواجه العولمة، ومدى قدرتها على تثبيت القيم الإنسانية وتحقيق التوازن المفقود في نفوس الأجيال، والتصدي لذلك القناع الغربي الذي يصنع ويحاك ليلبسه العرب.

نحو استراتيجية وطنية للثقافة المجتمعية



تأليف: الدكتور إبراهيم بدران

المحتويـــــــات

يعتبر المحور الفكري والثقافي واحداً من المحاور الأساسية لنهوض المجتمعات وتقدمها. غير أن النهوض والتقدم لا تصنعه النخبة بمفردها، سواء كانت نخبة فكرية أو علمية أو سياسية أو ثقافية. إن الذي يصنع النهوض والتقدم هم أفراد المجتمع، ومؤسساته، ومنظمات المجتمع المدني فيه، والعاملون في القطاع الخاص والقطاعات الاقتصادية المختلفة. إنه المجتمع برجاله ونسائه وشبابه وكهوله وريفه وبواديه ومدنه وبلداته.
ومن هنا، فإن محور الفكر والثقافة الذي يشار إليه عند وضع برامج التنمية والمشاريع النهضوية لا ينبغي أن يقتصر على ما يقوله أو يفكر به المثقفون. فهؤلاء لهم مجالهم الفكري والثقافي الذي يسعى دائماً لمتابعة ما يدور في العالم، ربما من جانب مهني أو وظيفي أو بحثي أكاديمي. وفي الوقت نفسه، فللمجتمع فكره وثقافته التي قد تختلف اختلافاً كبيراً عن ما يدور حوله جهد المثقفين. ومن غير المفيد الاستغراق في الوهم أن المسافة بين ثقافة النخبة وثقافة المجتمع هي مسافة قصيرة، إذ تعتمد هذه المسافة على عوامل كثيرة غالباً ما تتطلب البحث والمراجعة، ومن ثم التطوير والتعزيز، في اتجاه بناء ثقافة تقوم على العقل والعلم من جهة، والديمقراطية والتعددية ومشاركة المرأة وحسن الحاكمية من جهة ثانية.

وهذا يعني أن الثقافة المجتمعية في الدول النامية لا يمكن أخذها مسألة منتهية أو أنها تحصيل حاصل. فما لم تكن هناك استراتيجيات وسياسات وبرامج لتطوير الثقافة المجتمعية، فإن تجاوب المجتمع مع متطلبات الحداثة والمعاصرة والانطلاق إلى المستقبل الذي يبشر به القرن الحادي والعشرون سيكون تجاوباً بطيئاً وضعيفاً من شأنه أن يكلف المجتمع ملايين الدولارات تذهب هباء بسبب عدم الجاهزية الفكرية والثقافية للمجتمع، أو بسبب عدم الكفاءة والفاعلية.

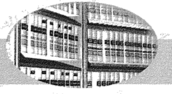
يمثل هذا الكتاب محاولة لوضع الملامح الرئيسية لتطوير استراتيجية وطنية للثقافة المجتمعية يتشارك في رسمها وتنفيذها القطاع الرسمي مع القطاع الأهلي. وقد حاولنا أن تكون الكتابة أقرب جداً إلى لغة المشروع العلمي العملي، إذ إن هذا هدفها بدلاً من أن تكون بحثاً نظرياً ومطالعات فكرية لا تقع على أرض الواقع.

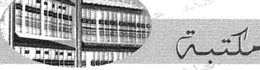
إن الهدف من الكتاب أن يكون دليلاً عملياً، ومشروعاً قابلاً للتنفيذ لبناء ثقافة مجتمعية جديدة قادرة على مواجهة استحقاقات الانتقال إلى مجتمع العلم والمعرفة، وقادرة على المساعدة في الانطلاق نحو المستقبل.

الدكتور إبراهيم بدران
عمّان ٢٠٠٤/١/٣٠









جبهة بلا دعم

ملف محدود التداول - كانون الأوّل / ديسمبر ٢٠٠٤

تأليف: شلومو بن عامي

ترجمة وإعداد: مركز جنين للدراسات الإستراتيجية

تعليق: المرحوم توفيق أبو بكر

مركز جنين للدراسات الاستراتيجية
JENIN CENTRE FOR STRATEGIC STUDIES

جبهة بلا دعم

تأليف: شلومو بن عامي

A Front Without a Rearguard
Shlomo Ben Ami

ترجمة وإعداد: مركز جنين للدراسات الإستراتيجية
تعليق: توفيق أبو بكر

ملف محدود التداول ديسمبر ٢٠٠٤

هذا الإصدار هو آخر ما أشرف عليه الراحل الأستاذ توفيق أبو بكر، وقد أضاف تعليقه قبل وفاته بأيام قليلة.

يعتبر التعليق قراءة دقيقة، من وجهة نظر فلسطينية، للكتاب الجديد الذي أصدره شلومو بن عامي. وهو نتاج قراءات الفقيد الغالي للكتاب والمذكرات الأخرى كافة، ومعرفته الدقيقة بأسرار الكثير من شؤون المفاوضات.

جبهة بلا دعم كتاب صدر حديثاً باللغة العبرية. وتأتي أهميته لكون مؤلفه شلومو بن عامي قد شغل منصب وزير الخارجية، وكان أحد قادة المفاوضات الفلسطينية الإسرائيلية الممهدة لكامب ديفيد.

يضم هذا العرض أبرز ما جاء في كتاب بن عامي الذي هو أقرب للمذكرات الشخصية التي وثق من خلالها بداية تفويض أيهود باراك له، بهدف فتح مسار تفاوضي مع أبو العلاء. كما يوثق بن عامي لحظات مفاوضات كامب ديفيد، ويكشف عن تفاصيل غير معروفة للقارىء العربي، بما فيها من مقترحات دراماتيّة جعلت جميع الأطراف تعتقد بأن التوصل لاتفاق سلام بات أمراً ممكناً في أثناء مفاوضات كامب ديفيد.

تقديم الكتاب وعرضه سيتم في معظمه من خلال السرد بلسان شلومو بن عامي لتبقى روايته لما حصل في كامب ديفيد وما قبلها كما هي دون تدخل مباشر.



كتاب شبابيّ جديد

صدر مؤخّراً عن مؤسسة سيّد عويس للدراسات والبحوث الاجتماعية

دور المؤسّسات الرياضيّة والشبابيّة في مواجهة الإدمان

تأليف: الدّكتور مسعد سيد عويس

لا شك في أن الثروة البشرية تمثل القيمة الحقيقية لرصيد أي أمة من أجل تقدمها وتطورها واستمرارية سيادتها... ولا شك أيضاً أن عنصر الشباب هو كلمة السر لهذا التقدم المنشود. وقد أكدت الدراسات العلمية أهمية تأهيل جيل الشباب لتولي قيادة زمام الأمور في المراحل المتعددة. ويتحقق هذا التأهيل يتحقق في تكامل محددات الرعاية الصحية والسلوكية والبدنية وغيرها من البرامج التي تشبع الاهتمامات والوجدانيات في منظومة متناغمة تستند على قاعدة من المعرفة الشاملة والثقافة المستنيرة.

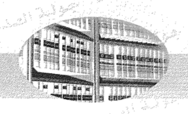
من هنا تأتي أهمية العناية بالشباب وحمايته مما قد يجابهه من عقبات ومشكلات قد تعصف به وتؤثر في مستقبله. ومن أعتى هذه المشكلات، بطبيعة الحال، مشكلة الإدمان بجميع صوره. ويعد هذا الكتاب إطلالة واقعية على هذه المشكلة بأبعادها المختلفة، وحصاد نتائج خبرة عملية، وحصيلة دراسة أربعين عاما قضاها مؤلف الكتاب في حقل العمل الشبابي والاجتماعي خبيراً بمشكلات الشباب، متعايشاً معها ومشاركاً في منظومة إيجاد بعض الحلول المكنة لها، وبالأخص في المؤسسات الشبابية والرياضية، وتأكيد دور هذه المؤسسات الفاعل في التصدي لمواجهة هذه المشكلة، بل رعاية من تعرض لآفة الإدمان اللعين، وإعادته عضواً فاعلاً منتجاً في المجتمع، واكتشاف جوانب الإبداع والمهارات التي تكمن في داخله وتنميتها في مناخ مدعم للمبدعين، يتكاتف الكل فيه في تناسق وتكامل، بدءاً من الأسرة والجيرة ودور العبادة ومؤسسات التعليم وأجهزة الإعلام، وبالطبع المؤسسات الرياضية والشبابية.

الكتاب محاولة مخلصة لعلها تفتح الطريق لمزيد من هذه الدراسات الواقعية التي يحتاجها الشباب، والتي تهدف إلى مستقبل أكثر بهاء وإشراقاً.

دكتور مسعد سيد عويس

[بتصرّف طفيف]





مكتبتنا الشّبابيّة

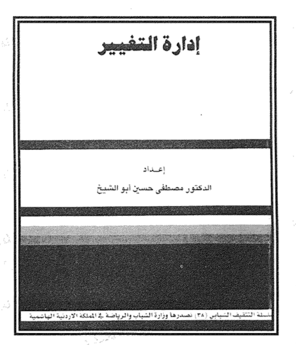
سلسلة التثقيف الشبابي

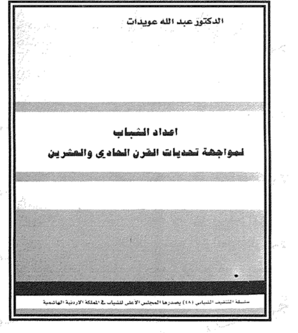
يصدرها المجلس الأعلى للشباب في المملكة الأردنية الهاشمية

«وحيث إن قطاع الشباب هو الأداة الأقدر والأقوى للنهوض بهذه المتطلبات والتفاعل مع المستجدات، كان لا بد أن يعد إعدادا يؤهله لتحمل هذه الرسالة النبيلة. وبما أن الثقافة هي أهم أدوات بناء الإنسان روحياً ومعنوياً، فكان لا بد لنا من العناية بتثقيف الشباب، لتؤدي الثقافة هذا الدور من خلال بناء شخصية الشاب، ليكون طموحاً مبدعاً منتمياً لوطنه وقيادته وتاريخه الماجد، قادراً على قيادة مجتمعه نحو آفاق أرحب وزمن أفضل للتعايش مع عصر العلم والمعرفة والتطور والإبداع.

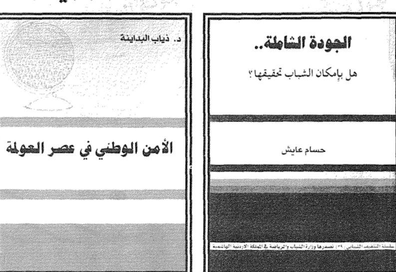
ولتحقيق ذلك ها نحن نشرع بمواصلة إصدار هذه السلسلة بحيث يكون كل كتاب منها صورة مشرقة لجانب من جوانب الحياة، معبراً بلغة واضحة وبأسلوب بسيط يفهمه الناشىء، ولا غنى عنه للمواطن الراشد المتطلع إلى مزيد من العلم والمعرفة، هدفنا أن نقدم غذاءً فكرياً يساهم في أن يتشكل الشباب في وطنهم بثقة ومسؤولية، وثقافة متميزة، وإنماء عميق يترجم بعمل خير للوطن ومفيد للشباب.»

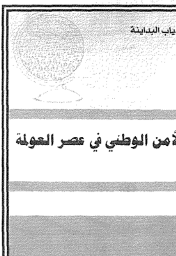
من مقدّمة
رئيس المجلس الأعلى للشباب/الأردنّ
د. مأمون نور الدين
[بتصرّف طفيف]





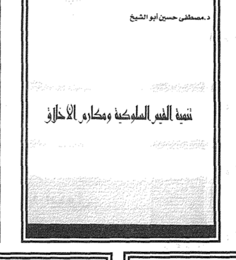
سلسلة التثقيف الشبابي / بعض العناوين

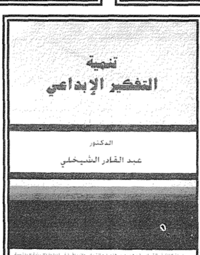




التنمية السياسية بين النظرية والتطبيق

الاردن حالة تطبيق





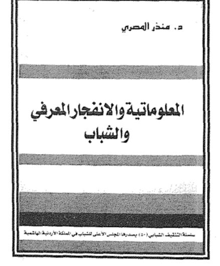
الدكتور محمود قظام السرحان

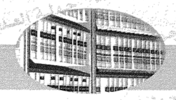
الولاء والانتماء لدى الشباب الأردني

وأثره في بناء الشخصية

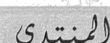
الشباب في الشعر العربي

د. عمرو سعيد الهليس

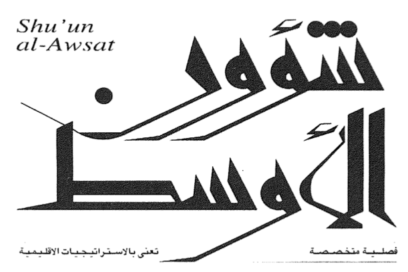


من مكتبة المنتدى



117
شتاء ٢٠٠٥
Winter 2005

فصلية متخصصة
تعنى بالاستراتيجيات الاقليمية

ندوة
خيارات إيران

حوار
سيد حسين موسوي

البرنامج النووي الإيراني

تصوّر واشنطن للتهديد بعد ١١ أيلول

أسلحة الدمار الشامل وإزدواجية الممارسة

رؤية أميركية - قراءات إسرائيلية

ياسر عرفات والعودة المؤجلة

التربية العسكرية الإسرائيلية على الإرهاب

كركوك والمسألة العراقية

بوش الثاني والحرب على العالم

الجابري في نقد العقل الأخلاقي العربي

مركز الدراسات الاستراتيجية

صحافيٌ فوقَ محيطٍ يحترقْ

ممدوح أبو دلهوم*

الأديب والكاتب الصحافيّ البارز (أنيس منصور)، للذي لا يعرفه، هو باختصار كاتب مصري متعدد المواهب، غزير النشاطات، له ما ينوف على (٧٠) مؤلفاً توزعت على حقول إبداعية شتى. فمن الأدب، قصاً وروياً ونقداً وأحاديث إذاعية وتلفزيونية؛ إلى السياسة، حيث عمل مراسلاً حربياً، وكتب آلاف المقالات الصحفية والتحليلات السياسية؛ ناهيك به صاحب قلم رشيق في الكتابة الساخرة، والسرد الوصفي، وأدب الرحلات. فمؤلفه الأشهر **حول العالم في ٢٠٠ يوم** قد بزّت شهرته شهرة صاحبه، إذ ما زال متداولاً حتى اليوم، وما زال الأديب الكبير، أطال الله في عمره وقد شارف على الثمانين، في أوج تألقه عطاءا وإنتاجاً وحيوية.

وفي إحدى مغامراته إبان عمله مراسلاً حربياً في اليابان، حدث أن بركاناً هادئاً حد الموات لم يلفظ قبلة حمميّة واحدة منذ (٢٠٠) عام، لكنه خرج عن صمته في ذلك اليوم، الذي صادف أن كان (١٧ آب)، وهو عيد ميلاد الأستاذ منصور، حيث تحول المحيط الهادىء إلى بحيرات حممية تشهق ناراً وتزفر لهباً في تنفسها السّعيريّ الغاضب. وكان ذلك بالقطع حدثاً ساخناً بحسب القاموس الصحفي، وكاد زميله المصور أن يقع مغشياً عليه حين همس له الأستاذ منصور بأنه سيحتفل بذكرى ميلاده فوق تلك البحيرات اللاهبة، مشيراً بسبّابته إلى حيث النيران! ولم ينتظر موافقة زميله المصور فقد قرّ قراره بأن استأجر طائرة صغيرة (٢,٥م × ١م) هكذا... (!) وكان طموح أنيس منصور لحظتها أن يكتب ويصور، ثم يرسل إلى (آخر ساعة) و (الأخبار) و (أخبار اليوم) ومطبوعات أخرى، وأن يكون ذلك قصب السبق في تغطية هذا الحدث المغري. وكذا كان... حيث سبقت (آخر ساعة) مجلة (اللايف) الأمريكية الشهيرة.

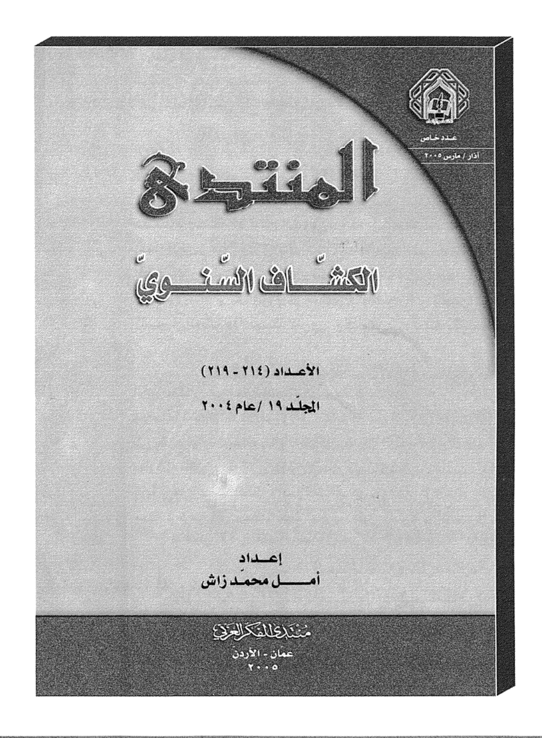
أما المثير، كما يروي الأديب الكبير، فكان في عملية التصوير، حيث كانت درجة الحرارة داخل الطائرة من السخونة باحتراق لدرجة أنهم خلعوا ملابسهم إلا من ورق التوت – عفواً: ورق الصحافة! فظهرا كأنهما طرزانان، بل ثلاثة، إذ نظرا إلى مقعد القيادة فوجداه خالياً. فقد كان ثالثهما الطيار الذي لم يرد أن تفته مثل هذه الفرصة التاريخية في تصوير البحيرات الملتهبة. غير أن حرارة الطائرة بدأت تلفظ ناراً أعتى، ولم يبق من شيء يخلعونه إلا جلودهم و ... لكن! وحين بدأت الطائرة بحركات هستيرية، سارع الطيار إلى مقعده لينطلق بصعوبة، هرباً من خطر كان محدقاً وموت كان محققاً، حيث حط بعد غير محاولة في قاعدة قرب بيرل هاربر الأمريكية في نهاية المطاف.

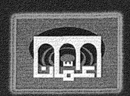
المثير الثاني في الحكاية... ختاما، كان، كما يروي أنيس منصور، هو الإحساس بالخوف الذي بلغ أوجه (جواً) وتلاشى تماماً (أرضاً)، حتى لكأنه فعل ميكانيكي متعلق بالطيران، لا حالة سيكولوجية متعلقة بالإنسان. فلعلها تلك الوشيجة التوأمية بين الأرض والإنسان، إذ لم يتغير الإحساس بالأمان على الأرض حتى حين رأى أن الجناحين قد احترقا، وأن قذائف اللهب الحممية قد كان بينها وبين خزانات الوقود أقل من ثلاثة مليمترات!!! ■

* كاتب صحافيّ؛ جريدة الرأي الأردنية.

يصدر قريباً

الكشّاف السّنوي ٢٠٠٤







توجه لتنفيذ مشروعات بكلفة ٧١ مليون دينار في أمانة عمّان العام الجاري

بدأت أمانة عمان الكبرى بوضع الدراسات والتصاميم لتنفيذ عدد من المشروعات العام الحالي بكلفة تزيد على ٧١ مليون دينار من مجموع الموازنة البالغة حوالي ٤١١ مليون دينار.

وقال مصدر مسؤول في أمانة عمان إن مستوى الخدمات البلدية التي تقدمها الأمانة قد ارتفع خلال السنوات الأربع الماضية، وتطورت عمليات الإنفاق الرأسمالي على المشروعات الخدمية والمرورية والبيئية.

وخصصت الأمانة، حسب المصدر، أكثر من نصف حجم الإنفاق الرأسمالي لتنفيذ مشروعات طرق وشوارع وأرصفة، حيث بلغت المخصصات المالية لهذه المشروعات حوالي ٣٨ مليون دينار، مبيناً أن الأمانة اشترت لغايات سرعة تنفيذ هذه المشروعات أكبر خلاطة لمادة الإسفلت في الشرق الأوسط سيتم تركيبها وتشغيلها خلال أقل من شهرين، لضخ خلطات إسفلتية مضاعفة.

وأكد المصدر أن تشغيل هذه الخلاطة سيعمل على إحراز تحسن ملموس في أوضاع الشوارع في العاصمة وسيطرة فاعلة على عمليات الحفريات التي تقوم بها مؤسسات خدمية أخرى.

وذكر المصدر أن الأمانة تخطط لإنشاء ما يزيد على عشرين حديقة عامة في مختلف المناطق، بالإضافة إلى إجراء عمليات صيانة للحدائق والمتنزهات القائمة. وستقوم بالتعاون مع دائرة تكنولوجيا المعلومات بإنشاء ثلاثة مراكز لتكنولوجيا المعلومات لتضاف إلى المراكز القائمة حاليا، استجابة للتوجهات الوطنية بتوسيع استخدامات التكنولوجيا وتعميمها على مختلف شرائح المجتمع.

وأوضح المصدر ذاته ان الأمانة دخلت مرحلة جديدة في أداء دور تنموي مثمر وأصبحت إسهاماتها واضحة على مختلف الأصعدة، خاصة في مجال الجهود الوطنية المبذولة للحد من الفقر والبطالة. وأنفقت الأمانة خلال عام ٢٠٠٤ ما يزيد على ٤٠ مليون دينار على تنفيذ المشروعات الرأسمالية، التي أدت إلى تنشيط عدد كبير من القطاعات كان أبرزها قطاع المقاولات والنقل، فضلاً عن تشغيل الكثير من القطاعات التجارية، بالإضافة إلى تشغيل عشرات الآلاف من الأيدي العاملة.

وتركز الإنفاق في هذا البند على تحسين أوضاع الطرق، وتطوير الحدائق العامة، وتطوير المكتبات، وتنفيذ مشروعات بيئة والمحافظة عليها، فيما تم إنشاء عدد من المشروعات المرورية الكبرى، واستمر تنفيذ مشروعات كبرى، مثل مشروع حدائق الحسين، ومشروع الجسر المعلق الذي يربط مناطق عمان الشرقية بالغربية عبر طريق سريع يخفف من حركة المرور والأزمات المرورية في مناطق عمان الوسطى.

وأشار المصدر إلى أن الأمانة استطاعت، عبر تعاونها مع اللجان المحلية في المناطق وتعزيز شراكتها مع أعضاء مجلس الأمانة المنتخبين في المناطق العشرين، تحسين مستوى خدماتها للمرافق العامة التي تقوم على إنشائها وإدارتها، وأهمها الحدائق والمتنزهات، مما أدى إلى زيادة إقبال المواطنين على اختلاف فئاتهم وشرائحهم للاستفادة من هذه المرافق وارتيادها بشكل دوري.

وأكد أن إقبال المواطنين على ارتياد الحدائق والمتنزهات جاء نتيجة لاعتماد الأمانة سياسة تنوع الخدمات في الحدائق، وتضمينها مكتبات عامة ومراكز تكنولوجيا المعلومات، وتوفير الخدمات الأخرى، وزيادة اهتمامها بالنظافة في تلك الحدائق.

وقال إن الأمانة قطعت شوطاً كبيراً في مشروع تطوير وسط مدينة عمان، وإنشاء مجمع سفريات رغدان بالتعاون مع بنك اليابان للتعاون الدولي ووزارة السياحة. ويهدف هذا المشروع السياحي والتنموي إلى تنظيم حركة السياحة في وسط عمان بحيث يستطيع السائح الاطلاع على جميع المعالم الموجودة في وسط البلد بعيداً عن معوقات الازدحام المروري، مما يعطيه فرصة أكبر للاطلاع ولقضاء فترة أطول خلال جولته التي يقوم بها. وسوف تصبح محطة باصات رغدان مرفقاً رئيسياً من خلال ربط موقع القلعة والمدرج الروماني ووسط المدينة.

